

الدروس الحكيمة

للناشطة الإسلامية



﴿ تأليف ﴾

« رفيق بك العظم »



﴿ طبعة أولى ﴾

طبع بمطبعة المؤيد والآداب بمصر سنة ١٣١٧

١٣١٧ هـ - ١٣١٧

M.A.LIBRARY, A.M.U.



AR4350

٧

١١٧٥٠

الحمد لله الذي جعل الانسان على نفسه بصيرة . وفضله  
على سائر خلقه بان منحه من العقل هدى ونورا . وأورثه  
الارض ليكون خليفة فيها . ووهبه من أسباب السعادة نمراً  
لا يحصيها . وأرسل رسله بالبينات والهدى لأوضح محجة  
( لئلا يكون للناس على الله حجة ) وله سبحانه الحجة البالغة  
على الناس أجمعين . فانه القائل ( وفي الارض آيات للموقنين  
وفي أنفسهم أفلا تبصرون ) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم  
النبيين . المنزل عليه ( كتاب فصحت آياته قرآنا عربياً لقوم  
يعلمون ) وعلى آله الطاهرين وأصحابه البررة الصادقين .  
ومن قال بتوهم ودعا بدعوتهم من المخلصين ( ومن أحسن  
قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انى من المسلمين )  
أما بعد فان من تصفح الجرائد الاسلامية في هذه الايام يرى  
فيها من آثار التأم الصادر عن فريق من نهباء المسلمين في

(CHECKED) 1996/07

الشرق والغرب قاموا في وسط المجموع الإسلامي يدعونه  
الى الرشد بمنعجات النذر ومؤثرات البيان ما يدل على تبه  
الشعور عند بعض المسلمين بالخطر المحيِّق بهذه الامة  
وتحسسهم على باب تخرج منه من هاوية السقوط التي تتخطى  
فيها من عدة أجيال لعل وأسباب أخذ بتبعها واستقصاء  
البحث فيها أولئك الكتاب فشخصوا الداء ووصفوا الدواء  
ولكن على اختلاف في القول وتمدد في مذاهب البيان ينتهي  
كله الى نتيجة واحدة وهي وجوب الاصلاح

وكنت كتبت مع من كتب في تشخيص الداء ووصف  
الدواء مقالات منها ما نشر في جريدة المؤيد الخطيرة ومنها ما  
نشر في جريدة « المنار » الاسلامية النراء قلت في بعضها في  
تشخيص الداء مانصه

وقد تقدمت الاشارة الي القاء تبة التمهق على كواهل  
أولياء الامر في الاسلام وذلك لما ادخلوه من الضعف على  
نفوس الكافة بتربيتهم الشعوب على مبدأ يخالف ما تأسس  
عليه الاسلام وقامت على دعائه الدول الاسلامية الاولي  
توصلا لوقوف تيار العلم اليقين عند حد لا يتجاوز الضروري

من أمر الحياة حتى تأصل في النفوس داء الضعف وخضعت ارادة الشعوب الاسلامية لسلطان السلطة القاهرة التي استفادت من ذلك بسط النفوذ المطلق على العقول والافكار أجيالا متطاولة انتهت بانحلال العزائم وخمود الافكار لغاية أضلت الحيلة عن ذوى الشعور الحي في هذا العصر الذين يبحثون عن دواء يشفي داء التقهقر المسلم بالمسلمين ولو رجعوا بالبحث الي قرون المجد الاسلامي الاولي لوجدوا لذلك دواء أهم أجزائه انطلاق العقول من قيد الحجر المضر وذهابها في مناحي العلوم كل مذهب تتناول به معرفة الحقوق والواجبات العلمية والاجتماعية بما تمكن فيها من أصول التربية على مبادئ الفضيلة التي هي أساس العمل في الشريعة الاسلامية ومنبعث حياة المجد الاسلامي الذي قام على دعائم العمل بمعنى قوله تعالى ( ولقد أرسلنا رسلا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط )

وقلت في بعضها ان حياة الاسلام انما كانت بالتكافل العام على قيام شرائمه وسننه وقد ضعف الاسلام لما ضعف التكافل بل زال فضعف بمداه المسلمون ولا يزالون كذلك

ما داموا غافلين عن مصالحهم الاجتماعية التي لا قيام لها عند  
 كل أمة الا بالتكافل العام وقد رأيت ان الدواء لداء المسلمين  
 هذا انما هو محصور في التربية على اصول الفضائل الاسلامية  
 التي أهمها استقلال العقل والارادة وفي توحيد الكلمة على  
 مبادئ الشريعة التي تضم ما تفرق من شمل المسلمين وتحيي  
 ما اندثر من معالم العلم اليقين . وانما اخترت في الحصول على  
 الدواء لداء التقهقر طريق الدين لان به قام المجد الاسلامي  
 ومدنيته وعليه تأسست دعائم الدول العظيمة في الاسلام  
 وتبسطت الامة الاسلامية في مناحي العمران فضعفها وقوتها  
 يكونان بنسبة ضعف وقوة الدين بخلاف الامم الاخرى التي  
 قامت من جهة غير جهة الدين أو مخالفة له فان ضعفهن وقوتهن  
 بنسبة ضعف وقوة الجهة التي قمن بها وتأسست مدينتهن عليها  
 ( سنة الله في الذين خلو من قبل ولن نجد لسنة الله تبديلا )  
 لا سيما وان الشريعة الاسلامية جاءت باصول الفضائل المناط  
 بها ترقى المجتمع الاسلامي وأخصها مخاطبة العقل وحثه على  
 العمل والحرية والعلم وغير ذلك وهي الاصول التي لم يتيسر  
 لغير المسلمين الحصول عليها الا من طريق القوة في مقاومة

العوارض التي تحول دون الوصول الى هذه الاصول  
 ولا بد في تربية الافكار الآن على مبادئ الشريعة  
 من وضع كتب جديدة تبين مزايا الدين الاسلامي للناشئة  
 الاسلامية من جهة ما يقوم أود النفوس الناشئة عن خلط  
 الاعتقاد الصحيح بالبدع التي أضعفت النفوس من جهة  
 وأزاحت ضمائر بعض الناشئة عن حقيقة الاسلام من جهة  
 أخرى لترشد تلك الكتب الناشئة الاسلامي الى الدين من  
 طريق العلم والعقل والى العمل من طريق الدين فتزرع في  
 نفوسهم حب العلم والعمل وحب الدين والوطن وحب الثبات  
 وغير ذلك من الكمالات النفسية والواجبات الانسانية  
 التي نبه عليها القرآن وجاء بها الاسلام .

وهذا ما قصدته من وضع هذا الكتاب بعد ان ساورني  
 هذا الفكر مدة كنت أقدم في غضونهما قدما وأؤخر أخرى  
 لعلمي بعجزني عن ادراك بعض ما اشتمل عليه هذا الدين  
 القيم والقرآن الكريم من معجزات الحكم التي هي مناط  
 السعادة في الدارين على ان ما لا يدرك كله لا يترك قلبه .  
 لهذا استخرت الله وبدأت بان ألقى دروسا من هذا القبيل على

طلبة السنة الرابعة من المدرسة العثمانية بمصر لما أنيط بي إدارة  
 شؤونها منذ أمد قريب على أمل ان أتم هذه الدروس  
 وأضعها في كتاب مخصوص يتنفع به سائر أبناء الاخوة  
 الاسلامية ثم رأيت انّ قرب انقضاء طلبة السنة الرابعة  
 واشتغالهم بالمذاكرات العلمية استعدادا للامتحان السنوي  
 يذهب بثمرات ما ألقيه عليهم فقطعت التدريس وبشرت  
 باكمال الدروس وتأليفها في هذا الكتاب وقسمته الي ثلاثة  
 أقسام في الاجتماع . مبادئه وروابطه ومقوماته . ليكون أشبه  
 بمراقبة يرى فيها كيفية تدرج الانسان في مراقي الحضارة والعمران  
 بما وهب الله من قوة العقل والارادة وأرشده اليه من طرق  
 السعادة وجملت تحت كل قسم منها دروسا مستمدا فيها مادة البيان  
 من آي القرآن . فاذا صادف على هذا قبولا عند العقلاء فذلك هو  
 المقصود والا فلا أقل من أن يكون نموذجا لمريدي الاصلاح  
 الحقيقي في الامة الاسلامية وقد سميتها (الدروس الحكيمة الناشئة  
 الاسلامية) وأنا أستغفر الله من كل خطأ يقع فيه وأرجوه العفو  
 والمغفرة لما يعلمه سبحانه من حسن قصدي واخلاص ضميري  
 في كل ما يخطه قلبي لخدمة الاسلام والمسلمين والله ولي المتقين



## القسم الاول في ذكر المبادئ

### ﴿ الدرس الاول ﴾

( وخلق الانسان ضعيفا )

هذه فاتحة دروس أفتتحها لكم أيها الاخوان النجباء  
وأملها عليكم شذرات تكون كسلسلة من حكم عليها تنفعكم  
في حاضر أوقاتكم ومستقبل حياتكم على شرط أن تقبلوا  
بكايتكم على وتكونوا كلكم أذانا مصغية اليّ فاني منذ مدة  
أحاول أن اقف أمامكم موقف الواعظ المذكور الذي انما يهيمه  
تذكير أبناء ملته والناشئين من بني وطنه بان القليل من العمل  
خير من كثير من العلم بلاعمل . وان مناط الحياة الطيبة التريية  
على مبدأ العلم لان الانسان انما خلق ليعمل فيحيا لا ليهمل  
فيموت وفي قوله تعالي ( وخلق الانسان ضعيفا ) ما يشير الي  
شيء من هذا المعنى وربما تقولون وأي معنى في هذه الآية  
يؤيد ما ذهب اليه ونحن نرى ان هذا البسيط الارضي

المملوء بمجالي العمران المتسع البالغ منتهى الفخامة والاعجاب  
بمصنوعات الانسان شاهد عدل على مبلغ قوة الانسان  
وقدرته في ترقية شؤون العمران فالجواب عن ذلك بسيط  
جدا يظهر لكم من قولي فيما تقدم ان الانسان خالق ليعمل  
فيحيا لايهمل فيموت أي أنه ضعيف باعتبار النشأة الاولى  
فاذا أهمل أو أهمل استمر على ضعفه فمات واذا تربى وعلم  
نشط فعمل فخي واليكم البيان

انظروا يارعاكم الله الي مبداء الانسان في حال نشأته  
ودور طفوليته ترونه أضعف من أنواع الحيوانات قاصرا  
عاجزا جزوعا هاوعا يترصده الحيوان المفترس بمخالب وناب .  
وتكتنفه الطبيعة بمصائب وأوصاب . فيئدب محاطا بمكاره  
الطبيعة الخارجية من أمراض قتالة وعوارض مغتالة ثم يشب  
فيقع في قبضة مكاره النفس الداخلية فيكون في الحالين أي  
منذ يدب الي ان يشب عرضة للمهالك بين عاملين قويين  
أسهبهما عليه أقتلها له وليس هذا حال الانسان باعتبار  
الطفولية فقط بل هو حاله أيضا باعتبار أول وجود الانسان  
على الارض اذ أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الانسان

خلقهم سليم الفطرة ساذجا ليس عندهم من القوة الطبيعية  
والالهامات الفطرية ما عند سائر الحيوان ليدفع بها الآفات  
ويصد الهجمات لهم إلا مسحة من العقل الفطري كانت  
لا تفني عنه من الحياة شيئا ولكن الله سبحانه وتعالى  
أودع في خزائن ذلك العقل أسراراً كامنة فيه كمن النار في  
الزناد فكما أن هذه لا تظهر إلا بالقدح كذلك تلك الأسرار  
— وهي مدارك العقل الفائقة — لا تظهر إلا بالاحتكاك  
بالمقاصد الحيوية التي لا تنتهي في جانب العقل البشري .  
ومثاله ان الانسان اذا جاع ثم اكل شيئاً من نبات الارض  
فشبع لا يقتصر في سائر أيام حياته على ذلك النبات بل يبحث  
عن غيره ويتطلب سواء مما يكون أعظم تغذية وأند طعماً  
وهكذا الحال في سائر ما يحتاج اليه الانسان ولهذا السبب  
امتاز الانسان عن جميع الحيوان ومن ثم كان بدء صعوده من  
حضيض البهيمية الي أوج البشرية بالطرق التدريجية والالهامات  
العقلية التي تترقى بترقي الحاجة وتتمو بنمو وسائل التربية  
والتعليم

## ﴿ الدرس الثاني ﴾

## ﴿ الانسان عاقل ﴾

( انا هديناه السبيل )

علمتم مما تقرر في الدرس الماضي ان الانسان في دوره الاول كان اضعف أنواع الحيوان وما ذلك الا لأن الله سبحانه وتعالى أودع في كل حيوان سواه الهاماً خاصاً وادراكاً محدوداً يسيرانه في طريق الحياة بدافع فطري يعيش به عيشة بهيمية غير قابلة للتغير وألبسه من القوى الظاهرة لباساً لا يحتاج معه لاستعمال سلاح آخر لدفع آفات الطبيعة وهجمات المدوّ وأما الانسان فليس كذلك بل هو ذو قوى عقلية كامنة فيه كما تقدم وقابلة للزيادة والنقص أو الظهور والاختفاء ويحتاج لاستعمالها في أمر المعاش وتدبير وسائل الحياة التي لا تصدر عنه الا بعد الروية والتفكير فيما يدفع عنه الشقاء في الحياتين ويسهل له طريق السعادة للدارين فاذا استعمل تلك القوى مع الروية والتفكير نجح وصلاح والاهلك واليه وردت الاشارة في قوله تعالى ( انا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً )

لهذا كان الانسان ضعيفاً بالنسبة للحيوان مالم يعمل بما رزقه الله من قوي العقل لآخرفته ويستغل في تدبير المعيشة لذيائه وما دام ذلك كذلك فلا ريب أن الانسان يحتاج في تدبير المعيشة الى وسائل كثيرة أهمها التعاون والاجتماع ونخال أن أول شعور تلبه في هذا النوع هو الشعور بجزء كل انسان بمفرده عن مجارة الحيوان في طرق المعيشة الفطرية واحتياجه الي مساعدة من عداه من بني النوع في تدبير شؤون الحياة البشرية فكان ذلك من بواعث انضمامه في أول حلقة من حلقات الاجتماع أو جمعية من جمعيات البشر التي كانت تدبر أصول معيشتها على أبسط صورة يمكن أن يتصورها العقل لمثل الجمعية الاولي للانسان ومن ثم كان مبدأ التآلف والاتحاد من أهم المبادي التي تأسست على دعائمها سعادة البشر الدنيوية وحياتهم القومية كما سترون ذلك مفصلاً فيما يلي من الدروس ان شاء الله

﴿ الدرس الثالث ﴾

﴿ الانسان مدنى ﴾

( علم الانسان مالم يعلم )

بعد ان كان الانسان يسكن الغابات الكثيفة ويأوي الي  
ظل الاشجار الغضة ويأكل من نبات الارض ويهيم من  
الخيرة في كل واد ثم دخل كما قدمنا في أول طور من أطوار  
المدنية وهو الاجتماع أخذ يبنى لنفسه الأكواخ الحقيرة.  
ويخت في الجبال بيوتا — ومنها الكهوف الصناعية التي ترى  
في كثير من الجبال — اتقاء عوادي الطبيعة ودفماً لمخاطر  
الوحدة ثم ما زال يتسع أمامه مجال الفكر وتشعب طرق  
المقاصد بتشعب طرق المعيشة حتي تولدت فيه قوة الاختراع  
وقوة الحرص والطبع فماعدده حب التعالى بمظاهر الاجتماع  
والتغالب في ميدان المناظرة الدنيوية فاحتاج للاعتصام بقوة  
الاجتماع في المدن طلباً لرفاه العيش وهرباً من عناء البداوة.  
نحطط المدن وابتنى المعاقل والحصون ومصر الامصار وشيده

فيها شاهقات القصور وزاهيات المنازل والدور وكان في غضون ذلك يجول بفكره في مناحي الطبيعة باحثا عما أودع الله فيها من الاسرار وأوجد من المنافع في المواليذ الثلاث ليسخر منها لمصلحته ما شاء فيما شاء ومن نعم الله سبحانه وتعالى ورأفته بهذا النوع الانساني أن جعل له من العقل ساطعا اذا أطلقه من وثاق الاوهام تناول به اسرار الطبيعة من كبد السماء ويخرج بها من اعماق الارض بلا حرج عليه ولا حرج ليتنفع بهاني الحياة الدنيا ويتوصل بها لتمظيم الصانع جلّ وعلا فينال بذلك سعادة الآخرة والأولي والى ههنا وردت الاشارة بقوله تعالى في القرآن الكريم (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا واتم تعلمون)

وانما خوطب الناس بهنا بعد ترقى العقل البشري الي مقام العلم الداعي للتكليف الموجب للتبصر في مكنونات الارض والسماء فسبحان من أجزل للانسان بدائع النعم ومنّ عليه بالعلم فقال تعالى (علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

## ﴿ الدرس الرابع ﴾

## ﴿ الانسان الكامل ﴾

( بل الانسان على نفسه بصيرة )

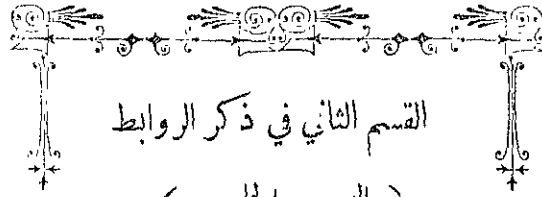
هكذا كان حال الانسان وكذلك خرج من مصاف بقية  
الحيوان وصعد بالتدريج من وهاد البهيمية الى أوج الحضارة  
والمدينة ولا يزال كذلك مادام دائماً في تتبع اسرار الطبيعة  
مستغلاً في اكتشاف كنوزها التي أودعها الله فيها ذخيرة خيرة  
للانسان يتناولها بقوة العقل ويصل اليها بالمشاورة على العمل  
فيزرع ويستثمر ويعمر ويستعم ويخترع ويتدع ويتفياً ظلال  
العمران ويستمد مادة الحياة الطيبة مع توالي الازمان من  
خلال المتاعب والمشاق التي يتكبدتها في استجلاء الحقائق  
واطلاق الفكر في أطراف الوجود يتناول به من اسراره قوة  
تدراً عنه غوائل الضعف الطبيعي الذي فطر عليه وتدفع  
طوارئ الطبيعة وأخطارها التي تكتنفه وقد جند الانسان  
وراء هذه الغاية فوصل وفعل في هذا الوجود من آثار العقل  
ما فعل مما هو مشاهد بالعيان في كل زمان ومكان . ولكن



بماذا وصل الى ذلك ؟ هل بمجرد كونه انسانا عاقلا ضعيفاً  
 قويا لا . بل توصل الى ذلك تدريجاً باعمال الفكر والاسترشاد  
 الى طرق السعادة بنور العلم الذي استمدته من الشرائع  
 الالهية واهتمت به الى تطهير النفس البشرية من أدران  
 البهيمية فاقام له ذلك العلم من نفسه على نفسه حسياً يهديه  
 نوره وأحله من هذا الوجود في مكان كان فيه كما وصفه الله  
 تعالى « بل الانسان على نفسه بصيرة »

ومن ثم تكون منه الجماعات العظيمة شعوباً وقبائل  
 شيدت أسس الممالك وأقامت الحكومات ورفعت دعائم  
 الدول . لهذا كان الدين ضرورياً للاجتماع ملازماً للبشر في  
 سائر أطوار الحضارة التي لا تقوم الا به ومنه تستمد الروابط  
 والمقومات التي هي من لوازم الاجتماع المدني وضروريات  
 الترقى البشرى كالملك والمعدل والحرية وطاعة الله وحب  
 الناس وحب الوطن وحسن المعاملة والاعتماد على النفس  
 والجد في العمل وغير ذلك من الروابط والمقومات التي هي  
 غرضنا من هذه الدروس وسنفضلها لكم باباً باباً تفصيلاً  
 تعلمون منه ما يلزم لترقى الشعوب ويصاحب الحضارة

والعمران مع توالى الأزمان؟ ونبدأ من ذلك بذكر الروابط  
وأولها الدين لأنه أساس الخير المبني على المصلحة العامة .  
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسدد قولنا ويثبت في مواطن  
الحق قدمنا أنه أكرم مسؤل



القسم الثاني في ذكر الروابط

﴿ الدرس الخامس ﴾

﴿ حاجة البشر الى الدين ﴾

﴿ ولقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأزكنا معهم الكتاب ﴾

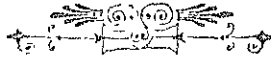
( والميزان ليقوم الناس بالقسط )

اعلموا ان حاجة البشر الى الدين كحاجة الجسم الى الغذاء  
فكما ان الغذاء حياة الجسم وقوامه فكذلك الدين حياة للنفس  
لا تطيب الا به . وقد أثبت التاريخ ودلت الآثار على ان الدين  
مربي الانسان ومرشد الامم الى طرق المدنية منذ تكونت  
جمعيات البشر كما تقدم ذكره بدليل ملازمة الأديان للبشر  
منذ عرف التاريخ الى الآن حتى اننا لا نري الآن أمة على وجه

الارض الا ولها دين معروف وشريعة خاصة بها ولو وضعية  
 أى من وضع البشر ومساكنات العقول لم ذلك ؟ لان الله  
 سبحانه وتعالى اول ما فطر الانسان على حب المصلحة ومعرفة  
 الخير من الشر انما فطره بواسطة الاديان السماوية التي كانت  
 تهبط من جانب الحق تعالى على الرسل الكرام عليهم الصلاة  
 والسلام وهؤلاء يبلغونها للناس ويدعونهم بها الى سبيل الرش  
 وطرق السعادة البشرية ليبتدوا بها الى المصالح التي تقوم بها  
 حياتهم ويقوم معوج عمالهم وينتظم في الحياة الدنيا شأنهم  
 ويظهر جوهر كمالهم الذي يهيمهم للترقى في سلم المدنية والتوصل  
 الى السعادة الابدية والى هذا وردت الاشارة في القرآن  
 الكريم بقوله تعالى

( ولقد أرسلنا رسالنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب  
 والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد  
 ومنافع للناس ) وقد بلغت هذه الآية غاية الغايات في الدلالة  
 على رعاية الشرائع الالهية لمصالح البشر الروحانية والجسمانية وما  
 كلف به الرسل من ذلك في اقامة ما اعوجج من أعمال الانسان  
 بميزان الشرع وارجاعهم الى الكتاب بالبينات ليقوموا بالقسط

أى لتعتدل سائر أعمالهم البدنية والنفسية ان لم يتيسر ذلك  
 بالبيانات وحكم الكتاب فبالجبر بالقوة وهي الحديد  
 لهذا كان أساس التربية البشرية هو الدين بدليل ما  
 يشاهد في حالة الاقوام الذين لم يتمتعوا ولو بقليل من أنوار  
 الاديان الالهية من التفهيم في مضمار المدنية والتوغل في مهامه  
 الاخلاق الممجية كسكان أواسط افريقيا الآن  
 وما قلناه من أننا لا نرى أمة على وجه الارض الآن الا  
 ولها دين معروف ولو وضعيا برهان ظاهر على ان الانسان  
 نشأ وتربى عقلا وفطرة بواسطة الأديان الالهية وانما احتاج  
 بعض الشعوب الى الرجوع للوضع العقلي لما أهملوا أمر الدين  
 وفقدت منهم أصول الشرائع الالهية ثم رأوا أن لاهية الآ  
 بالدين ولا اجتماع الآ على كلبته فاضطروا اليه الوضع ولو وضعاً  
 فاسداً ممزوجاً بشيء من آثار الدين الصحيح الذي عاق  
 بأفكارهم أو اختلط بعوائدهم شيء منه ولله في خلقه شؤون



﴿ الدرس السادس ﴾

﴿ جامعة الدين ﴾

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾

سبحان الله ما أعظم منته وأعدل عمله. افتترقت الشعوب  
فجمعها. وتغالبت الأنفس فهدبها. وتباينت المقاصد فوحدتها  
وافترقت القلوب فألف بينها فانضمت الأقسام الي ما شرع  
من شرائع ارتبطت بها مصالح الأمم واتحدت كلمة الشعوب  
فدللوا المصاعب ومدوا ظلال العمران وشيدوا الممالك وبالجملة  
وضحت لهم طرق السعادة فسلكوها وتوصلوا الي نعيم الحياة  
فتمتعوا به بنسبة ما شرع لكل أمة من شرع وافق حالة ترقيقها  
وناسب مقتضى زمانها (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن  
تجد لسنة الله تبديلا)

عناية من الله ما وفاها الأمم حقها ونعم قصر واعن واجب  
شكرها فدالت دولهم وانطفأ نورهم حين زانت أبصارهم عن  
الحق وافترقوا شيئا في الدين اندفعت مع الأهواء اندفاع  
التريق مع تيار المساء فانحلت عراهم وافترق مجتمعهم فانقلبوا

خاسرين ذلك بانهم كفروا بأنعم الله ( فويل للذين كفروا  
من يومهم الذي يوعدون )

ما كان الله ليأخذ قوماً بجريرة آخرين و ( لئلا يكون  
للناس على الله حجة ) مازال رحمة منه بالأمم يرسل رساله  
بالبينات وينزل عليهم الشرائع بما يوافق الشؤون والمناسبات  
الطبيعية عند كل امة وفي كل زمان حتي حال حال وجاء زمان  
استعد فيه الانسان للكمال وأذنت ارادة الله تعالى بمخاطبة  
العقل وارشاده للسعادة التامة بالعلم اليقين فارسل نبينا محمدا  
صلي الله عليه وسلم وانزل عليه قرآنا يكاف المؤمنين معرفة  
أحكامه لطريق العلم فقال تعالى فيه ( كتاب فصلت آياته  
قرآنا عربياً لقوم يعلمون ) وقرر فيما قرر من أسباب السعادة  
مبادئ الاخاء الاسلامي تحت جامعة الدين فقال تعالى فيه  
( انما المؤمنون اخوة ) وقال تعالى ( واعتصموا بحبل الله جميعا  
ولا تفرقوا ) ثم لما كان من شرط الاخاء الصحيح في جامعة  
الايان اتحاد سائر بنيه للذب عن شرائعه والانتصار له بخروج  
المؤمن عن نفسه وسائر ما يملك في سبيل نصرة الحق والايان  
فقد قال الله تعالى في هذا ( ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم

وأموالهم بان لهم الجنة)

بهذه الجامعة العظمي والرابطة المثلي تألفت قلوب الأمم  
المتنافرة وتضافرت قوي الشعوب المتفرقة فاندفع الاسلام  
في أطراف البسيط الارضي يدوخ أهله الممالك وينشرون  
الدين واللغة والمدنية ويبسطون نور العلم والتربية والتهذيب  
كل ذلك فعلوه في أقل من قرن بماذا؟ بجامعة الدين ورابطة  
الحق اليقين

### ﴿ الدرس السابع ﴾

\* (معرفة الدين واجبة) \*

( قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني )

إذا كان الدين ضروريا لازما للاجتماع فمعرفة الدين  
أيضاً لازمة لكل فرد من أفراد أهله بلا استثناء ولا يكفي  
في هذه المعرفة كون المسلم مثلاً يعرف الأركان الخمسة  
للاسلام بل يلزمه ان يكون على بصيرة من دينه وعلم ولو  
اجالياً<sup>(١)</sup> بشرائعه وسياسته فاذا سمع قارئاً يقرأ أو قرأ هو

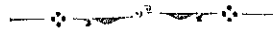
(١) نريد بهذا العلم الاجمالي علم الصحابة لا العلم الاجمالي  
المصطلح عليه عند الأصوليين

قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ) يتدبر معني هذه الآية لقوله تعالى « كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب » ويكون على علم ولو اجماليا من فوائد هذه الطاعة وانه يترتب عليها مصلحة المؤمنين وترتبط بها سعادة المسلمين لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر عباده الا بالخير والرسول كذلك لا يأمر الا بخير فوجبت الطاعة لهما فيما يأمران به ويهيبان عنه لانه خير ومصلحة للمؤمنين وكذلك ولي الأمر انما وجبت له الطاعة من حيث وجبت لله وللرسول لكونه منفذا لاوامر الله والرسول وهي خير كما تقدم فالطاعة له خير أيضا . ولا جرم ان العالم بالشئ من حيث انه خير يوجب الرغبة به والميل اليه فعلم المسلمين بهذه الطاعة أنها خير يوجب تأصل الشعور في نفس كل فرد منهم بأن هذه الطاعة طاعة واجبة لله في جميع ما شرع من الشرع للمسلمين فوجب معها العمل بكل ما أمرهم به من التمسك بالعقائد والمحافظة على الدين والدود عن حياض الشريعة والقيام في وجه العدو والاتحاد على كلمة الاسلام وغير ذلك من المصالح المتوقعة على الطاعة التي لا



سبيل الى اداءها الا بالعلم بها وما لا سبيل الى أداء الواجب الا به فهو واجب فالطاعة واجبة والعلم بها واجب أيضاً وهكذا الحال في سائر ما جاء به الدين لأن التوحيد الذي هو أول ركن من أركان الدين إنما دعانا الله اليه من طريق العلم فقال تعالى (فاعلم أنه لا اله الا الله) فما بالكُم ببقية فروع الدين وأصوله لهذا كان العلم الإجمالي بالدين واجباً على جميع المسلمين وبمعرفة هذا الواجب عمل الصحابة الكرام بسائر ما جاء به القرآن وأمر به نبينا عليه الصلاة والسلام فن لم يكن منهم على علم تفصيلي بأمر الدين كفاه العلم الاجمالي فدعا الى الله على بصيرة وعمل به علم وبهذا وصف الله المؤمنين واليه أرشدتم في قرآنه العظيم فقال تعالى مخاطباً نبيه صلى الله عليه وسلم (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) وبهذا أئب الصحابة الكرام قلوب الامم على الاسلام وعمموا الدين والسياسة واللغة بين الأنام فملؤا الامصار علماً و ضربوا دون الجهالة سداً فأخذوا بنواصي الامم وانتادت لهم الشعوب وانحطت دون همهم همهم قياصرة الروم وأككاسرة المعجم ومرّت على ما أسسوه من قواعد العمل بالعلم بحقيقة الدين أعوام وأيام

أتى بعدها خلف أنقلب الي الشهوات وقنع بآثار المجد وخلف  
آخر أخرجهم مرض القلوب فلجأ الي الحشو في الدين والاكثر  
من القول على غير يقين ففرقوا وحدة الافكار وشتتوا اجزاء  
الامة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا الأساء ما كانوا  
يصنعون



### ﴿ الدرس الثامن ﴾

#### ﴿ الحكومة وضرورتها للاجتماع ﴾

(ولولا دفع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الارض)

قد علمتم لزوم الدين للاجتماع فينبغي أن تعلموا ان  
الملك أيضا من لوازم الدين والاجتماع ولهذا جاء في الحديث  
النبوي الشريف (الاسلام والسلطان توأمان) وذلك لما سبق  
شرحه من ان مصالح البشر لا تتم الا بالاجتماع وان الانسان  
الواحد يستحيل ان يقوم بسائر وظائف الحياة البشرية الا  
اذا رجع الي مصاف بقية الحيوان وابس هذا مراد الله في  
الانسان . ومن المقرر أن الاجتماع لا يخلو من المنازعات  
المفضية الي تغالب القوى المتنازعة وتكافحها في ميدان الحياة

فإذا لم يمنع ذلك التغلب بقوة الوازع الذي يسيطر به تنفيذ أحكام الشرائع غلب القوي الضعيف فأهلكه وصدّم الجليل الحقير فأماته وفي هذا من الخلل بنظام المجتمعات ما يؤدي إلى فسادها وتداعي أركانها ولهذا لما شرع الله الشرائع للبشر جعل لها قواماً هم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام ثم الأئمة والخلفاء من بعدهم وفي قوله تعالى ( ولولا دفع الله الناس الآية إشارة إلى ذلك المعنى كما جاء في تفسير الفخر الرازي الكبير وخلاصته أن الأنبياء الذين أنزلت عليهم تلك الشرائع هم الذين يدفع الله بهم الآفات عن الخلق وأنه كما لا بد في قطع الخصومات في الدنيا من شريعة فلا بد في تنفيذ الشريعة من قوام ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام ( الإسلام أمير والسلطان حارس فما لا أمير له فهو مهزوم وما لا حارس له فهو ضائع ) اهـ

إذا تقرر هذا فاعلموا أن الحكومات ضرورية للبشر ولا قوام لامة أو حياة لشعب إلا بحكومة أو سلطان فمن شأن الحكومة أن تهيمن على الشرائع والقوانين وتعمل بها في ترتيب معيشة الشعب ونظام الامة وتنظر في سائر المصالح

التي تعود على الهيئة المحكومة بالخير وتدفع عنها الشر سواء كان ذلك بالنظر الى علاقتها مع الامم المجاورة كربط صلة الجوار وتسهيل أسباب التبادل في المنافع ووضع المعاهدات وعلان الحرب و ابرام الصلح ونحو ذلك من العلائق الجوارية أو كان بالنظر الى شؤونها الداخلية كتوزيع الجباية ورد الحقوق وحفظ الأمن واقامة الحدود وتأمين السابلة وتسهيل طرق التجارة وغير ذلك من موجبات الراحة والنظام في داخل المملكة

ويتفاوت نوع الحكومات في كل مملكة بتفاوت العصور وتباين الاقطار فمنها الاستبدادي المطلق ومنها الدستوري المعتدل ومنها الجمهوري ولكل حكومة من هاته الحكومات صبغة خاصة بها واحسنها الصبغة الدستورية المعتدلة لانها وسط بين طرفي التفريط للصبغة الاستبدادية والافراط للصبغة الجمهورية .



## ﴿ الدرس التاسع ﴾

## ﴿ الحكومات والاسلام ﴾

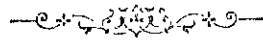
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ﴾  
ان الحكومة انما هي جماعة من الشعب يترشحون  
لتولي شؤون الوظائف المناط بها ترتيب نظام الشعب والمحافظة  
على دواعي راحته ورفاهه فهم لا يمتازون عن الكافة بخصيصة  
من خصائص البشر أو بمزية من مزايا الترفع عن أمثالهم  
من الناس إلا بكونهم قوام الشريعة أو القانون فتجب لهم  
على الناس الطاعة ماداموا في طاعة الشرع ليمتسنى لهم تنفيذ  
أوامر الشريعة وتنظيم نظام الامة بإيقاف النفوس المتعابلة  
عند حد القانون الذي هو سياج المجتمعات ومناطق راحة  
الشعوب . ولكن قضت سنن الوجود الاجتماعي ان يأتي زمان  
علي الانسان ينقاد فيه للجهل المطلق ببارئ الوجود فيعتقد  
بروح فعال بالحاكم أو السلطان وينزله منزلة المعبود في كثير  
من الاحيان كما يعتقد الصينيون بملكهم الآن مثلاً وينعتونه  
لهذا السبب بابن السماء وكما كان اعتقد ذلك بملوكهم كثير

من الامم الحالية فقلوا في تعظيمهم ومن دونهم من الحكام  
غلواً تأباه الاحلام . ولما كانت تنزل الشرائع الالهية وتمحو  
عن صفحات العقول هذه الصور الباطلة والاعتقادات الماطلة  
فينصرف الناس الى وجه الحق ومحاسبة الوجدان ومعرفة الخالق  
الذي ان كانت تبقى مرتسمة في مخيلاتهم آثار التعظيم المشرب بالتدني  
عن درجات الحكم لمجرد كونهم حكماً فقط لا لقصد وجهة  
العبودية الاولى وكانت هذه الآثار تجسم عند بعض الشعوب  
تارة وتضعف أخرى بنسبة حال الحاكم والنصباغ الحكومة بصيغة  
العدل أو الاستبداد . ومما لا ريب فيه انه ما أفني الامم وقتل  
عواطف الشعوب فأضاعوا استقلالهم القومي وقضوا على  
حياتهم الاجتماعية الا ذلك الاعتقاد الفاسد والخضوع المطلق  
لارادة افراد قل أن تقف ارادتهم في سياسة الشعوب عند  
حد الشريعة أو القانون ولا تتجاوزها غلبة الشهوات الى  
استعمال قوّة القهر المانعة من ترقى النفوس البشرية في مراقبي  
الكمال الطبيعي الذي لا يتأتى الا باطلاق حرية العقل  
وتصريفه في أنحاء الوجود لتناول أسرار الطبيعة المسخرة لنفع  
الانسان بارادة خالق الاكوان الكريم المنان

أثبت التاريخ وقضت سنن الاجتماع ان تجاوز الهيمنة العادلة  
 على قوانين الامم وشرائعها الي الحنكم المطابق للتابع لاغراض  
 النفوس يقوض أركان الممالك ويدمر صروح العمران وذلك  
 لما فيه من الظلم المنفسد لاخلاق الامة الداعي لتفشي أمراض  
 الحيانة والمداهنة والمكر والتجمل الباعث على تسلسل خلق  
 الظلم في سائر طبقات الامة من أعلاها الي أدناها وذلك  
 لفقد المناصحة بين الناس وقيام القوّة مقام الحق والسيف مقام  
 القانون وناهيك بما ينشأ عن هذا من اذلال النفوس الكريمة  
 واعتيادها على الرضوخ للهانة والضعفة وفقدتها لاخلاق  
 الشهامة والشمم والشجاعة وأي نهاية لهذا كله سوى موت  
 الأمم وتداعى أركان الدول والعياذ بالله تعالي

ولدفع هذا البلاء عن الشعوب أي الاسلام مؤسساً على  
 العدل داعياً الي المناصحة بين المؤمنين منها على فوائدها تارة  
 وتفريع الظلم الذي هو ثمرة الاستبداد أخرى تقويما لاعوجاج  
 الحكم الجائر عند الامم وتمهيدا للطريق السعادة بالاستقلال  
 العقلي الذي قامت عليه دعائم المدنية الاسلامية المبنية على  
 اطلاق حرية الضمائر والمناصحة العامة بين المؤمنين كما يشير

اليه قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط  
 شهداء لله ولو على أنفسكم) وهو أمر عام يقضي على كل  
 فرد من المؤمنين بتحرى مصلحة الآخرين جهد الطاقة . وان  
 أمة تتكافل على مصالحها العامة لأمة حرة بأن تنقاد لها الشعوب  
 وتمهد أمامها المسالك وتشيد بعداها الممالك وقد تحقق للأمة  
 الإسلامية ذلك حينما من الدهر انقلب بعده المسلمون خاسرين  
 لما نزع بينهم شيطان الدخيل فنفرقوا ونزعوا منازع وثيبتهم  
 الأولى وما خافوا واتقوا ففتحوا بذلك سيلا للوهن على كلمتهم  
 فنفرقت وعسوة اجتماعهم فأنحمت وعزهم فزال فانطبق عليهم  
 قول رب العالمين ( ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا  
 بما بأنفسهم )



### ﴿ الدرس العاشر ﴾

#### ﴿ العدل في الاسلام ﴾

( كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الي النور )

بينما كان الامم ترسفت في قيود الاستبداد المطلق ويختبئها شيطان  
 الاستبداد الأزرق فتمتثر باشباح القوة القاهرة وتوى في ظلمات



العدم أرسل الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم للأمم بشرية لا تدع لساطان القهر الجائر سبيلا الى النفوس ان تؤسر له وتهان بين يديه فوضعت للناس ميزانا لا ترجيح فيه لنفس على نفس الا بتقوية الله وأعطت للعقل حق الاستقلال المطلق لينشط من أسر الاوهام ويخرج من الظلمات الى النور وفصل القرآن ذلك تفصيلا لا غاية بعده لمستزيد لهذا قال الله تعالى فيه خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور) فبين هذا الكتاب الكريم من آيات الحكمة البالغة بوجوب العدل في سائر الاعمال على العموم وعدل الحكام على الخصوص ما فيه هدى ورحمة للعالمين وبه ترتبط سعادة البشر أجمعين

ولما كانت أهم مراتب العدل ثلاثاً . العدل في الاحكام الالهية فيما يرجع الي ردّ الحقوق واقامة الحدود . والعدل في التساوي بالحقوق التي يشترك بها الناس وتقضي بها حرية العقل . والعدل في المعاملات بين الناس بعضهم مع بعض كاجتناب الغش والحيانة والمداهنة وغير ذلك فقد لزم

أن نبين لكم ما جاء به القرآن من ذلك على وجه الاجمال  
ونتكلم على كل مرتبة من هذه المراتب كلاما عاما مجملا ولا  
يمنعنا هذا من أن نتلو عليكم قبل البحث في هذه المراتب بعض  
ما جاء في القرآن من التنبيه على العدل فيما لا ينضم الى هذه المراتب  
من سائر أعمال الانسان فمن ذلك قوله تعالى في وجوب العدل  
في المعيشة ( ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها  
كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً ) وقوله تعالى في العدل  
بين النساء ( فان خفتن الا تمدنوا فواحدة ) وقوله تعالى  
في العدل بالكرم ( والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا  
وكان بين ذلك قواما )

وقوله تعالى في العدل بالشجاعة ( ولا تاتوا بأيديكم  
الي التهلكة ) وغير ذلك كثير من الآيات المنبهة على الاعتدال  
في سائر الاعمال . والاعتدال كما لا يخفاكم هو العدل الذي هو  
أساس الفضائل وميزان السعادة القائم في هذا الوجود  
لخير البشر وتهذيب النفوس بايقافها في وسط من الاعمال  
بين طرفي الافراط وهو رذيلة والتفريط وهو رذيلة أيضا  
والفضيلة هي الوسط وهو العدل

## ﴿ الدرس الحادي عشر ﴾

## ﴿ مراتب العدل ﴾

(المرتبة الاولى)

( واذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل )

ما قامت الدول وامتدت ظلال العمران واجتمعت  
 كلمة الشعوب وتوثقت عرى الاجتماع الا بالعدل فالعدل  
 روح ووجود الامم جثمان فاذا فارق ذلك الروح هذا الجثمان  
 انحلّ وتطايرت أجزاءه في الفضاء ومحى اسمه من عالم الاجتماع  
 ولما كان الانسان مفعولاً على الطمع وحب المزيد من  
 كل شيء فقلّ أن يستأثر بالسلطة انسان ويقف بها عند حدّ  
 محدود الا من عصم ربك لهذا ابي العدل ان تسانس الشعوب  
 بسياسة تضمن لهم بقاء الحياة المدنية الا بالحكومات الشرعية  
 لا بسلطة القوة والقهر التي تسوقهم الي حيث لا يشعرون  
 بالخطر الا ساعة وفرة عيونهم في دواويه

وقد جاءت الشرعية الازمية منافية ابداً للحكومات  
 الماضية المؤسس معظمها على الاتفاق يد القوة في سياسة

الشعوب وذلك تمهيداً لسبل الترقى بين الشعوب وتوطيداً لقاعدة العدل بين المسلمين على وجه بلغ من جلاله الوضع والترتيب ما تقصر دونه عقول البشر .

جاء القرآن الكريم آمراً بالطاعة لاولياء الامر الى حد محدود لا يتجاوز معنى الصلة العادلة بين الحاكم والمحكوم ليتمكن بمقتضاها من تنفيذ أوامر الشرع واقامة حدود الله بشرط ان لا تكون تلك الطاعة فيما يؤدي الى الخروج عما أمر به الشارع ونهى عنه وذلك في قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم ) ولا يخفى أن قرن الطاعة لاولى الامر بالطاعة لله وللرسول دليل على ما في ذلك من المصلحة للزعامة لاننا ندرك بالبدهة أن الطاعة لله وللرسول محض نفع راجع لانفسنا فيما أمرنا به ونهينا عنه كفعل الخير وترك الشر لهذا قال الله تعالى ( ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) وكذا ولي الامر فانه لما كان مرتباً بالشرعية فيما يأمر به والشرعية لا تأمر بالعدل فقد وجبت له الطاعة من حيث وجبت لله وللرسول . لهذا كانت الطاعة في الشريعة الاسلامية من أهم القواعد التي تأسست عليها دول الاسلام لاسيما طاعة

الامام العادل فانها ركن من أركان الاسلام يجمع المسلمين تحت لواء واحد ويصون مجتمعهم عن عبث التفرق شيعا في الملك والدين ولكي لا تصرف مزايا هذه الطاعة في غير وجوهها النافعة كأن يتدفع بها الي شيء من الظلم فقد أمر الله تعالى الحكام بالعدل وحذّرهم من عاقبة الظلم فقال تعالى ( واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ) وقال تعالى ( اعدلوا هو أقرب للتقوى ) وقال تعالى في التحذير ( ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون )

ثم لكي تصان قوانين الشرع وأحكامه عن العبث وتتمشي على وتيرة العدل قرر القرآن قاعدة التكافل العام على قيام شرائع الاسلام وذلك في قوله تعالى ( ولتسكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ) ولكي تكون المسؤولية عامة متبادلة ويتناصر المسلمون على قاعدة التكافل العام ولا يتخاذلوا قال تعالى ( وأقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ) وقال النبي عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. هذا الاسلام وهذا الدين القيم الذي شرعه الله للناس ليخرجوا من الظلمات الى النور ومن العمى الى

الهدى وانما انعكس الامر مع المسلمين الآن لاخلالهم بقاعدة التكافل العام واشتغالهم باللغو واللهو عن حقيقة الاسلام وتفرقهم شيئا في الملك والدين واعراضهم عن الحق اليقين (فن يتله من بعد ماسمه فانما ائمه على الذين يتدلونه) انتهى الكلام على الروابط ولنأت على ذكر المقومات



القسم الثالث في المقومات

﴿ الدرس الثاني عشر ﴾

﴿ المرتبة الثانية ﴾

﴿ الحرية والمساواة ﴾

﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم

شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾

متى استقر العدل بين الناس على الوجه الذي ذكرناه  
وردت الحقوق وأقيمت الحدود وأمنت السبل تبسط  
الناس في مناحي الحضارة وحنجوا الى مسد بساط السموات

وانما يتأتى لهم هذا بالتعاون والتناصر سيما اذا كانت الدهماء  
فرقا غير متناسقة في المشارب ولا متنسقة في عقد الوحدة  
الجنسية أو الدينية يحكم بمضها الآخري فأحوج ما يكونون  
اليه التآلف والتحاب ليتأتى لهم التناصر والتعاون ويندفع  
عنهم خطر التناكر وانما يندفع هذا الخطر اذا وجد العدل  
بالحرية والمساواة وبني عليهما أساس التعارف المعني في قوله  
تعالى ( يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم  
شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ) وفي قول  
النبي عليه الصلاة والسلام — لا فضل لربي على عجمي ولا  
لأبيض على أسود الا بالتقوى — وهذا ما يعبر عنه بالحرية  
الشخصية وهو كما أشرنا اليه ثاني مراتب العدل الثلاث في  
الاسلام وهو يرتبط بالمرتبة الاولي ارتباطا يتم به محو آثار  
العبودية لغير الله سبحانه وتعالى من نفوس الخلق ويشعر  
بوجوب حسن المعاشرة والمخالطة والعدل بين الناس في الحقوق  
التي يشترك بها أبناء الوطن الواحد بلا استثناء فلا يتفاخر بعضهم  
على بعض أو يستأثر بعضهم بحقوق بعض أو يستهين كبيرهم  
بالصغير ويتعد غنيهم على الفقير بل يكون حسن المعاملة

والمحافظة علي الحقوق شاملاً عاماً متبادلاً بين الناس من سائر الطبقات ولا يستثنى من ذلك غير المسلم اذا ضم والمسلم في وطن واحد أو اشتركاً علي منفعة واحدة وقد كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يتعامل مع يهود المدينة ويحسنه وواظمتهم لنقندي به في حسن معاملة الناس ومعاشرتهم وكان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم يتباعدون في بادئ الامر عن مجاملة كفار قريش ولو كانوا من ذوي قربانهم فنبههم الله سبحانه وتعالى الي أن ليس في معاملتهم والاحسان اليهم بأس ورغبتهم بان يبروهم وتقسطوا اليهم في قوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبرؤهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ) فحسن معاملة الناس وعجبتهم واعتبار كونهم جسماً واحداً يحمي بحياة أعضائه أمر قرره الشريعة الاسلامية وجاء به القرآن فينبغي ان تعلموه ولو لم يكن فيه من الامر بتبادل حسن المعاملة غير ما تقدم وغير قوله تعالى ( يا أيها الذين آمنوا لا يستخر قوم من قوم عسي أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسي ان يكن خيراً منهن ولا تلهووا أنفسكم ولا تباذروا بالانجاب ) الكافي



به موعظة وذكرى للمؤمنين .

### ﴿ الدرس الثالث عشر ﴾

#### ﴿ تعريف الحرية ﴾

( وكذلك جئناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس

ويكون الرسول عليكم شهيدا )

الحرية من حيث هي هي استقلال العقل والاراد وانطلاق الانسان من قيد العبودية لاي شيء الا الله سبحانه وتعالى فهي واجبة له سبحانه لانه خالق الانسان وواهب العقل وقد قسموا الحرية بالترريف الاعم الي قسمين الحرية العمومية والحرية الشخصية . فأما الحرية العمومية فهي تكافؤ الأمة بالحق في مشاركة الحكومة بالرأي وتكافلها على قيام الشرائع والقوانين حتي لا يهبط بها عاثر او تصرف على غير وجهها المقصود تبعاً لأغراض النفوس وغلبة الشهوات عند الحكم وقد قررتها الشريعة الاسلامية وجاء بها القرآن كما رأيت في الدرس الحادي عشر ولها من الأثر العظيم في ترقى الأمم ونشر لواء العمران ما يشاهد عند الحكومات الاوربية المعتدلة

الآن وما بلغ بالمسلمين في الصدر الاول مبلغا من القوة والمدنية والمجد يقف دونه النظر حائرا والانسان مقرا بفضل شريعة وضعت هذه القاعدة منذ ثلاثة عشر قرنا للمسلمين ولم يتوصل اليها غيرهم من الامم الا في هذه القرون الاخيرة بمد مكافحات شابت لها نواحي الولدان وانصبغت هامة المغرب بنجيع الانسان

وأما الحرية الشخصية فهي عبارة عن مبدأ المساواة الذي مر ذكره وفيه أمن الانسان على نفسه وعرضه وماله وتمتعه بسائر حقوقه الشخصية التي تخولها له طبيعة الاجتماع باعتبار كونه عضواً عاماً فيه وقد توسع بهذا المبدأ دعاة الحرية الجديدة في هذا العصر من الغربيين فقالوا وللانسان أن يعمل ما شاء بإرادته على شرط أن لا يتعدى ضرره الى سواه وهو توسع ينافي مبدأ العدل في الحرية الاسلامية لما عقبه من الافراط الذي دعا الى التفريط بالفضيلة في الغرب حتى انطلقت النفوس في ميدان الشرور وانفجست في سماء الرذائل تحت اسم الحرية وبقيد أن لا يتعدى ضرر الانسان الى سواه وكيف لا يتعدى ضرر من يحمل أمراض الفسق

والفجور والفاحشة وسائر أنواع المنكر ويمشى بها متهتكا  
تحت اسم الحرية وكل هذه أمراض وبائية ليس أسرع من  
تفشى ضررها في ربوع المدينة وقتك فتكا ذريعا في الانسان  
ولقد أحس الاوريون ببلاء الافراط بهذه الحرية وما تأتي  
عنها من المضار التي أقلها انتشار الفوضى والاشتراكية في  
ربوع المدينة وتهديدها لها بالحراب والتدمير وأخذوا  
يعملون الرأى في ايجاد طريق للخلاص من هذا البلاء وأنى  
يهتدون الا بالدين الاسلامى المبين المبني على الاعتدال في  
كل شيء المرشد الى سائر الفضائل والكلمات التي ترتبط  
بها سعادة البشر ويقوم بها التمدن الحقيقى للشعوب . اللهم  
نحمدك ونشكرك على ان جعلت هذه الامة الاسلامية امة  
وسطا <sup>(١)</sup> ليشهدوا على الناس ويكون الرسول عليهم شهيدا  
ونسألك ان ترشدها لامل بقرآتك واتباع سنة نبيك صلى  
الله عليه وسلم لتعود على بدئها وترجع ذاهب مجدها الذى  
انما ذهب لما فرطت في جنب الله ولا حول ولا قوة الا بالله  
العالى العظيم

(١) أي عدلا كما في تفسير الفخر وغيره

## ﴿ الدرس الرابع عشر ﴾

﴿ الحرية الاسلامية والحرية الغربية وهل يستويان ﴾

﴿ قل هل يستوي الاعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور ﴾  
علمتم أن الحرية هي استقلال العقل وانطلاق الانسان  
من قيود الاستعباد المطلق ومتى أخذت الحرية من ذلك  
وسطا بين طرفي الافراط والتفريط حمت النفوس على  
الغيرة ونهت فيها حب العزة والكرامة . والنفس الكريمة  
تأبى الاحجام وتنشأ على الاقدام فتطالب جلائل الاعمال  
وتتنكب طرق الدنيا وتطرح راحة الاخلاص الى المسكنة  
والذل ولا يصدر عنها أثر من آثار الحرية الا مسبوقا بالروية  
مقرونا بالفضيلة دالا على الثبات لما تأصل فيها من الرزانة  
الناشئة عن عزة النفس اذ من توابع العزة الرزانة والثبات  
وهما حياة الامم ومنبعث مجسد الانسان وعكسهما الرعونة  
والطيش وهذان الخلقان يلزمان طرف الافراط في الحرية كما  
يلازم طرفه الآخر وهو التفريط والذل والمسكنة والوسط.

بينهما هو الرزانة والثبات كما تقدم ولنضرب لكم مثلاً ببعض الشعوب الاوربية الذين تناهي عندهم الآن الافراط في الحرية فقد يصدر عنهم من الضوضاء والجلبة عند كل حادث سياسي مثلاً ما لا يصدر عن الشعوب المعتدلة بالحرية الذين اذا فتحت لهم الممالك أو صبت عليهم الصواعق فلا نسرع لهم الا همهمة أو حسياسا

وأما المفرطون في الحرية فمثلهم مثل الأمم الشرقية التي فقدت مزايا الاستقلال العقلي وسيقت بعضاً القهر سوق الانعام وناهيك به ذلقاتنا للنفوس مميتا لهمم منقادا الاقدام لشاهده الآن باليمان لهذا جاء الاسلام هادماً لاركان الاستبداد مرشداً لحرية العقل ليحمل المؤمنين على عزة النفس الداعية الى الرزانة والثبات الباعثين على العمل الممهد لسبل المجد والسودد . وقد نال المؤمنون من ذلك حظاً لم تشه أمة من الأمم حتى بلغوا من العزة مكاناً يكفي في التنبيه اليه قوله تعالى ( ولله العزة ورسوله وللمؤمنين ) وانما انحطوا الآن الى درك الضعة لما علمتوه من أن العزة ملازمة للحرية وقد فرطوا بها وخضعوا للاستعباد فاتخذوا

أولياءهم أرباباً من دون الله ومن يدع مع الله الهاً آخر  
فحسابه على ربه ( ولن تجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً )  
وبالاجمال فالحرية حياة الامم ودعاة التمدن وأساس الترقى  
العقلي في هذا الوجود البشرى وشرطها الاعتدال وبه جاء  
الاسلام وبهما عمل المسلمون زماناً قامت لهم به الدول وشيدوا  
دعائم العمران ونشروا راية العلم وأخذوا بجماع القوة فهدموا  
بها بنيان الاستعباد وحطموا صروح الاستبداد فلكوا  
قلوب البشر واجتمع تحت رايته الشعوب على اختلاف  
عناصرهم وتباين مشاربهم متهاككين في سبيل الوحدة  
الاسلامية التي هي أسس الحرية البشرية المعنية في قول الرسول  
الاكرم والنبي الاعظم صلى الله عليه وسلم « لا فضل لعربي  
على عجمي ولا لايبيض على أسود الا بالتقوى » بهذه الحرية  
قام الاسلام وساس المسلمون مئات الملايين من البشر لا يميزون  
في الحق نحلة عن نحلة ولا كبيراً عن صغير ولا أميراً عن حقير  
بل كلهم في الحقوق سواء وللحرية أبناء وبلغ من شعور المؤمنين  
يومئذ بفضل هذه الحرية أن يهودياً ادعى أمام عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه على علي بن أبي طالب رضي الله تعالى

عنه بحق له قبله وكان على بحضرة عمر فقال له قم يا أبا الحسن  
 ساو خصمك فظهر على وجهه على كرم الله وجهه أثر الغيظ  
 ثم قام وجلس في جانب خصمه وبعد انتهاء المحاكمة قال الخليفة  
 عمر لعلي رضي الله تعالى عنهما لعناك اغتظت من قولي لك قم  
 يا أبا الحسن ساو خصمك قال لا وإنما اغتظت لانك  
 كنتني امام خصمي فكان ينبغي أن تقول قم يا علي ساو  
 خصمك وقد كان النداء بالكنية عند العرب من علام التفخيم  
 بلغ الشعوب بفضل الحرية والمساواة عند المؤمن على  
 عهد الحرية الاسلامية أن لا يقبل التفخيم مهما كان عظيما في  
 قومه شريفا في نفسه كعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى  
 عنه في موقف لا يسود فيه الأعداء ولا ينظر فيه إلا للحق  
 فليت شعري ماذا يقول المنصفون من دعاة الحرية الاوربية  
 وأنصار المدنية الغربية في هذا العصر عن حريتهم الجديدة  
 ودعواتهم العريضة هل فيها شيء من هذا العدل؟ هل قطعت  
 قيود الاستبداد؟ هل تساوي فيها بقية الشعوب الخاضعين  
 للسيطرة الاوربية وعلى الأخص المسلمون منهم كما كان  
 اليهودي والنصراني والعربي والعجبي والابيض والاسود

سواء في حقوق على عهد الحرية الاسلامية وآبان السطوة  
العربية ؟

لا لمر الحق . لا يقول ذلك المنصفون لان العميان  
أعظم شاهد وبرهان على أن الحرية الاسلامية والحرية الغربية  
لا يستويان ( قل هو يستوي الاعمي والبصير أم هل تستوي  
الظلمات والنور) وكيف يستوي ما بني على أساس للمدين  
الاسلامي المتين والنهج القرآني القويم وما بني على التصنع  
والتليس التابع لاغراض النفوس .

فاللهم اني حرية كحرية الغربيين الآن يفرق فيها بين  
الشرق والغربي والمسلم والنصراني بل والبرونستاتي والكاثوليكي  
والحق فيها للقوى يسحق بقوته الضعيف ويستهن بحقوق  
من عداه حرية حرية بالنبد والاستهجان لانها استعباد تأباه  
الانسانية والانسان ولا ينطبق على قانون الحرية في كل  
عصر وزمان



## ﴿ الدرس الخامس عشر ﴾

## ﴿ المرتبة الثالثة ﴾

## ﴿ العدل في المعاملة مع الناس ﴾

﴿ اعدلوا هو أقرب للتقوي ﴾

علمتم مما سبق بيانه أن العدل في الشريعة الاسلامية  
مطلوب في سائر أعمال الانسان وأن أهم مراتب العدل  
ثلاث استوفينا الكلام على مرتبتين منهن وهما نحن نتكلم على  
المرتبة الثالثة وهي العدل في معاملة الناس بعضهم مع بعض  
فنفول

العدل في معاملة الناس بعضهم مع بعض يكون في  
أمرين بالفعل واللسان والمراد من الأمر الأول اجتناب  
الغش في تبادل المنافع التجارية كالبيع والشراء ومن الأمر  
الثاني اجتناب الغش باللسان وفيه المداهنة والخيانة والتغدير  
وغير ذلك من أنواع الغش الاليم التي هي أمراض تنهك  
قوي المجتمعات وتذهب بحياة الشعوب والمقدم عليها ظالم يضر  
بنفسه وبأبناء جنسه ولنتكلم قليلا على الأمر الأول ثم نأت

بعده على الامر الثانى كل ذلك بطريق الاجمال الذى يناسب  
المقام اذ دروسنا لا تسع التفصيل بالتمام  
لا يخفى أن تبادل المنافع التجارية بين الناس هو عبارة  
عن عوض يستحقه المستعوض في نظير عوض يستحقه المعوض  
كالتاجر اذا باعك من الحرير مقدارا معلوما فانه انما يبيعك في  
نظير مقدار من الدراهم معلوم يستحقه قبلك كما تستحق أنت قبله  
ذلك المقدار من الحرير في نظير دراهمك استحقاقا حتمياً  
يوجبه الشرع وتقضى به سنة الوجود البشرى القائم على أساس  
تبادل المنافع التي هي نتيجة العمل المتبادل أيضاً ودعامة الحياة  
الاجتماعية بين أصناف الانسان . ويشترط في هذا التبادل  
التبادل في القيمة وان اختلف المقدار فن أخل من المتبادلين  
بهذا التبادل بأن غش أحدهما صاحبه بأصل القيمة كبخس  
الوزن وتغيير النوع بأدنى منه أو عمد الآخر الى دفع الثمن  
نقوداً زائفة فقد تعمد تنقيص العوض المستحق  
قبله ومن تعمد ذلك فهو ظالم غاش بل سارق محتال لا فرق  
بينه وبين اللص الا بكون هذا مرتكب جنائية ربما دفعه  
اليها الاحتياج والفقر وذلك مرتكب جنائية لم يدفعه

اليها سوي طمع النفس وجها للظلم وهو ظلم مذموم وعمل مضر هادم لا عظم ركن من أركان الاجتماع المدني وهو الثقة التي يتوقف عليها نظام سير المعاملات الدنيوية فإذا دخل الغش في هذه المعاملات فقدت الثقة من نفوس الناس بعضهم ببعض فيقف لذلك دولاب التجارة فتبور الصنائع وتقلّ المكاسب فيجتال الناس على أسباب المعيشة ويتم الكون على تحصيل القوت من غير طريقة المشروعة فتفسد أخلاق الأمة وتخط لفة العمل مداركها وينتهي ذلك بضعف قوتها وتفريق مجتمعاتها بل وفقد حريتها واستقلالها وتحكم يد الاجنبي فيها كما نشاهد ذلك في المشرق الآن فلا يفتقر لأقامة الدليل والبرهان. لهذا جاء الشرع الاسلامي آصرا بالعدل في المعاملة ناهيا عن الغش فيها بأشد الزواجر فقال الله تعالى في القرآن الكريم ( ووزنوا بالقسطاس المستقيم ) وقال تعالى في معرض الزجر ( ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون ) وقال تعالى ( ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ) وقال تعالى ( أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا يبخسوا الناس أشياءهم ) وقال النبي صلى الله عليه وسلم ( ليس

منا من غش) وهذا يفيد خروج الغاش من عداد المؤمنين والعياذ بالله تعالى وفيه من المبالغة في الزجر عن الغش أعظم عبرة للمؤمنين الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه والعاقة للمثقين . لهذا وجب اجتناب الغش في المعاملة بسائر أنواعه لما فيه من الضرر على الناس بالعموم وعلى الغاش بالخصوص لما أن ثروة الفرد الواحد في كل مجتمع إنما ترتبط بثروة الباقيين فمتى قلت الثروة عند المجموع فانها بالطبع تقل عند الفرد ومن أسباب فقد الثروة كما تقدم تفشي مرض الغش بين الأمة . وأحسن دواء له محاسبة المرء نفسه في معاملته مع الناس ومراقبته الله تعالى في ذلك بحيث يكون له من نفسه داع يدعوه الي تقوى الله ومعاملة خلقه بالعدل عملاً بقوله تعالى (اعدلوا هو أقرب للتقوي)

### ﴿ الدرس السادس عشر ﴾

#### ﴿ المداهنة ﴾

( والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد )

قلنا ان اجتناب الغش باللسان هو من جملة العدل في

المعاملة ومن ذلك المداهنة والحيانة والتفجير فان هذه أمور  
أكثر ما تكون للنفس باللسان وصاحبها انما يمكر بهذا النفس  
مكرا يحاول به جر مغنم لنفسه وان أضر بسواه (والذين  
يمكرون السيئات لهم عذاب شديد)

وأول تلك السيئات المداهنة وهي نوع من النفاق أو  
النفاق عينه والنفس فيها هو من جهة ما يراد بها من التملق الكاذب  
ومدح الانسان بما ليس فيه استرضاء له واستجلاباً لحاطره  
وفي هذا من الضرر ما يربو على كل ضرر سواه اذ أنه يوجب  
استشمار المداهن (بفتح الهاء) الكمال بنفسه واغضائه عن  
كل نقيصة فيه ربما اذا علمها من نفسه بادر الي ازلتها والتحول  
عنها الي ما هو اكمل منها. وفضلا عن هذا فان سرور المرء  
بالمداهنة ربما يؤديه الي اعتبارها حسنة في نفسها فيدهن من  
هو أعلى منه وهكذا تتسلسل هذه الرذيلة في سائر طبقات  
الامة حتى يعم بها البلاء وتفسد بسببها الاخلاق وربما  
بلغت المداهنة عند بعض الطبقات أحيانا أقصى درجات النفاق  
فيتقرب بها الصائم الي الكبير ولو بأن يضر أهله وولده أو  
بني وطنه في سبيل استرضاء المنافق له وفي هذا من الغلو في

الدناءة والمغالاة في العش ما يفضى أحيانا الى انفار الصدور  
 ووقوع الفتور بين الامير والمأمور والحاكم والمحكوم فتنتحل  
 عمروة التآلف ويشوش نظام الاجتماع كل ذلك بمبت المنافيين  
 وغش المداهنين الذين انذرهم الله بالخزي في الدنيا والعذاب  
 في الآخرة وحسبهم من ذلك الذل والمار قوله تعالى ( ان  
 المنافيين في الدرك الاسفل من النار ) فينبغي على كل مؤمن  
 بالله خائف من عقابه وكل محب لوطنه حريص على شرفه  
 اجتناب المداهنة والتفان لانهما غش لا يرضاه الانسان الكامل  
 وتأبأه المروءة كما ينبغي الاحتراس من المداهنين وتدارك  
 شرهم عن أن يسرى في الامة بعدواه الحبيثة بنذهم نبت  
 النواة وعدم الرضاء بنفسهم في أى حال من الحالات اقتداء  
 بالصحابة الكرام الذين بهم قام الاسلام وبعملهم يقنذى  
 المؤمنون فقد ذكر الامام الغزالي في الاحياء انه قيل لبعض  
 الصحابة لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله فيهم فغضب وقال  
 انى لاحسبك عراقياً<sup>(١)</sup> وان بعض الخلقاء الراشدين سأل رجلا  
 عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال

(١) اشارة الى ما كان مشهورا يومئذ عن أهل العراق من التفان

انبي لم آمرك بأن تزكيني . وإنما والله لشيم شماء ونفوس نأبي  
أمثال هذه النقائص وجدير بكل مؤمن القلب طاهر الخلق  
أن يعرف من نفسه ما لا يحتاج للعلم به من سواه

### ﴿ الدرس السابع عشر ﴾

#### ﴿ الحياة والتغريب ﴾

( ان الله لا يحب من كان خوانا أثميا )

كل من غش باللسان لأمر يريد به النفع من حيث يضر  
بسواه فهو خائن كالمداهن والمغرر وقد علمتم من مضار المداهنة  
ما فيه الكفاية . وأما التغريب فأنواعه كثيرة . منها أن يغرر  
البائع بالمشترى بسلعة يصفها له بأنها من أجود ما تكون من  
نوعها مثلاً اغراء له على أخذها وتكون هي دنيئة رديئة في  
الاصل وإنما قصد المغرر بيعها بثمن الجيدة ولو أضر ذلك  
بالمشترى . ومنها أن يحسن لك الإنسان عملاً ربما كان في  
نفسه قبيحاً وإنما هو يحسنه لك ليكون له من ورائه نفع ذاتي  
فلا يبالي بأضر ذلك العمل بك أو نفع . ومنها وهو أشد أنواع  
التغريب ظلماً وأشرها ما قبة غش الأمة بما يضلل أفسكارها

أويدس في كتبها من الاضاليل المنافية لقواعد الدين الصحيح  
 القائلة لاحساسات الناس المشوشة على العقل وأنواعها كثيرة  
 وانما هي بدع ابتدعها في الدين أناس لم يريدوا بها وجه الله  
 بل عرض الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون . والتاريخ أعظم  
 شاهد على ذلك ولكن أكثر الناس لا يشعرون (وانهم  
 ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ) ومهما بحثنا  
 عن اسباب التهقر العقل والديني في الامة الاسلامية لانجذله  
 سببا أعظم من التنزير الذي أثار أثاراً قبيحة في عقول الامة  
 وأهملها الاعتقاد بالجبر أو ما يقرب منه لتجريد الانسان عن كل  
 ارادة واختيار مما ينافي حكمة الله تعالى في خلق الانسان  
 وتفضيله بالعقل والعلم والارادة على سائر الحيوان لاسيما وان  
 الله تعالى قال ( علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ) ولييان تشریف  
 الانسان بذلك قال تعالى ( ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في  
 البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا  
 تفضيلاً ) فكيف يمنح الله سبحانه وتعالى الانسان قوة العلم والتفضيل  
 على سائر الحيوان ويشرع له الشرائع والاديان ويكلفه للعبادة  
 ثم يسلبه الارادة . اللهم ان أناساً يضالون عبادك بمثل هذا



التضليل بعد أن قلت ( وفي الارض آيات للموقنين وفي  
أنفسكم أفلا تبصرون ) لانس ظالمين لانفسهم غاشين  
للناس ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون )  
لهذا ينبغي على العاقل ان لا يبادر الي كل ما يسمعه أو  
يراه فيجمله على محمل الصدق بل يعمن النظر ويبحث عن الدليل  
في كل شيء يرد على العقل كي لا يغرر بنفسه ويلقيها فيما لا  
تحسن عقباه اذ العقل آلة تناول ما ثبت بالحس والبرهان  
وتترك ما وراء ذلك لعالم الخالق الديان. ولهذا جاء في قوله تعالى  
( وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ) والرسول  
انما آتانا بشريعة كاملة سمحاء وهدى وكتاب مبین لا ينهى  
عن طلب العقل للدليل لا طمئنان الوجدان للحق واعتماد  
العقول على البرهان بل يأمر بذلك ويقرع التخريص والجدال  
بغير علم ويدعو الى الحق بالبرهان ويصف المؤمنين بكونهم  
لا يعملون الا على بينة من كل أمر بل والكتاب كله معجزة  
من معجزات البرهان التي تأيدت بهارسالة نبينا عليه الصلاة  
والسلام هذا وهو يذم أهل التضليل وينهى عن استماع اللغو  
من القول ويشيراني أن أهله معروفون وبالتحريف موصوفون

وذلك بقوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول)  
وأما بقية أنواع التغير فكثيرة والكلام عليها طويل  
وما صرّ منها فيه الكفاية . والتغير من حيث هو ظلم وعدم  
أمانة وفاعله خائن أئيم بعيد عن مراتب الشرف والذمة مكروه  
من الله والناس . والله سبحانه وتعالى نهى المؤمنين عن  
الخيانة وأمرهم بالصدق والامانة فقال تعالى (يا أيها الذين  
آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)  
وقال تعالى (إن الله لا يحب من كان خواناً أثيماً) وما إخال  
الآن كل مستمع منكم لمجرد اسم الخيانة يشعر بحس غريب  
ينبه فيه سائر عواطف الاشمئزاز من هذا الاسم الشنيع  
الذي تاباه النفوس الشريفة ويتألم منه السمع فكيف بالعمل  
نفسه انه أشد تنكيلاً بالنفس ووخزاً للضمائر وقانا الله جميعاً  
مزالة القدم فيه وعاقبة الندامة منه انه محجب الدعاء  
انتهى الكلام على مراتب العدل الثالث ولتتكلم على  
بقية المقومات



## ﴿ الدرس الثامن عشر ﴾

## ﴿ الثبات والصبر ﴾

( ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا )  
( بالحق وتواصوا بالصبر )

ان الدنيا ميدان تتسابق فيه الهمم وتباري عليه الامم  
فمن سبق فاز بالحسنى وكانت يده في هذا الوجود هي العليا  
ومن قصر ووني<sup>(١)</sup> كانت يده هي الدنيا وعاش عيشة الاذل  
الاذني وانما ينال السبق بالثبات والصبر وعدم التقلب  
والضجر وليس في الوجود عمل الا ويحتاج الي الثبات بنسبة  
ما فيه من المشاق وما يحول دونه من العوائق التي لا يزيلها  
الا المثابرة عليه والثبات له . وفي الحقيقة فانه ما افاض نور  
العقل على نفس الانسان من هدى وما حرك الآمال فدفع  
بالرجال الي جلائل الاعمال فتناولوا اسرار الطبيعة من كبد  
السماء واستخرجوا كنوز النسي والثروة من بطون الارض  
وما عمر الارض<sup>١</sup> وأحيائها وشيد دعائم المدينة وبنائها وما مكن  
في النفوس رغائب الحياة فتنافست بحاسن الاعمال

واستمسكت بعروة الجد فبلغت منتهي الكمال . وبالجملة ما  
 قام لوجود البشر وجود وقرب طريق السعادة للانسان  
 كالثبات الثبات نعم الثبات الثبات وفي المثل من ثبت نبت  
 ومن صبر ظفر وكيف لا يظفر الصابر برغائبه وينال ذو  
 الثبات متمناه وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم ( ان  
 الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعمالوا الصالحات وتواصوا  
 بالحق وتواصوا بالصبر ) وقول الله هـذا خير منه للمؤمنين  
 على الثبات والصبر واذا بحثنا في تاريخ الامة الاسلامية نجد  
 أن الصبر والثبات كانا من أهم دواعي سيادتها على الامم  
 وترقيها في معارج المجد وهكذا الحال ايضاً في كل امة كان  
 الثبات رائدها وقوة العزيمة سندها وهل ظهر أفراد الرجال  
 الا بالثبات ؟ وهل خدمت المدنية قوة كالاختراع والتفنت  
 بالابتداع وانما هي قوة لا تصدر عن غير اهل الثبات لما  
 يلاقونه في سبيل العمل من المصاعب والمتاعب التي لو خالطها  
 شيء من الملل والتردد لما نجح أربابها ولخاب عمل أصحابها  
 ولكن بالثبات بلغوا أقصى النيات .

ولقد بلغ الثبات عند علماء بعض العلوم في القرون

المتوسطة الهجرية أن صاروا يكتبون علومهم بالخطوط العبرانية مع أنها في اللغة العربية وذلك لكي يدفعوا عنهم أذى الاضطهاد الذي كانوا يلاقونه من الملوك في تلك العصور<sup>(١)</sup> وبلغ الثبات أيضاً عند علماء المغرب في بعض العصور المسيحية أن كانوا ينالون من الملوك أنواع العذاب ويساقون الى السجون بغير حساب ومع ذلك كانوا لا ينفكون عن المطالعة والبحث ولو كان فيهما المنون . ويرسلون بأشعة أفكارهم من ظلمات السجون . وبنباتهم هذا خدموا الامم الأوربية وأخرجوها من ظلمات الجهالة الى نور المدنية .

والثبات انما هو قوة في النفس تحتاج الى سبق الارادة وصدق العزيمة مع التصميم الذي لا يشوبه التردد في الرأي ولهذا وردت الاشارة في قوله تعالى ( فاذا عزمتم فتوكل على الله ) فان من توكل على الله حق توكله في أمر يعزم عليه ولم

---

(١) ان السبب الداعي لاضطهاد أرباب تلك العلوم في القرون المتوسطة الاسلامية هو تحول حال الحكومات الاسلامية الى حد من الاستبداد يأبى وصول العقول الى درجة العلوم التي تنبه في أفكار الامة معرفة الحقوق والواجبات التي اترعها منهم ذاك الحكم وقد مر في دروس العدل ما فيه البيان الكافي بهذا الصدد

يحتاج ضميره بعد التوكل أدني تردد فيما عزم عليه فحق على  
الله أن يسهل له سبيل الوصول الى متمناه والله مع الصابرين.

﴿ الدرس التاسع عشر ﴾

﴿ الاعتماد بعد الله على النفس ﴾

( وأن ليس للانسان الاماسى وأن سعيه سوف يرى )

اعلموا أن الله سبحانه وتعالى فطر الناس على فطرة هي  
قوة طبيعية مهيئة من أصل الخلق للتلون بما يعرض عليها  
من الصور في بدء النمو العقلي والجسمي فتنتطح عليها أشد  
الصور التصاقا بها ومرورا عليها ومن ثم يتولد عن هذه  
الفطرة من الاعمال والاخلاق في أطوار الحياة البشرية  
صور كلها تستمد من أصل واحد وهي الصورة الاولى . ولهذا  
يشير الحديث النبوي الشريف ( مامن مولود الا يولد على  
الفطرة فابواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة  
بهيمة جمعاء ) ومن المعلوم ان الانسان مستعد للترقى بالطبع  
فهذا الاستعداد هو عين تلك القوة الطبيعية التي خلقها الله في  
الانسان وفطره عليها فاذا عرض لها في بدء النمو العقلي

ما يصر فيها الي الكفر كفر صاحبها أو الي الايمان آمن أو الي  
النشاط والعمل نشط وعمل أو الي الكسل كسل او الي سوء  
الخلق سوء خلقه أو الي حسن الخلق حسن خلقه وهكذا كل  
ما عرض لها في بدء النمو العقلي والتصق بها انصرفت اليه  
ونشأت عليه وقد مرّ علي الانسان أجيال متطاولة كان يعمل  
ويستغل فيها بنسبة حال التربية التي كانت تنشأ عليها فطرته من  
خير أو شر وبلغ ذلك في الانسان في بعض الاحيان أن كان  
يخرج عن كل حول وقوة لاعتقاده بصارف يصرفه من  
المظاهر الطبيعية أو الاجرام السماوية واستسلامه في هذا  
المنظرة وما تربت عليه حتى بلغ ذلك ببعض شعوبه مبلغا من  
التسفل والانحطاط الي دركات المهجبة ومزالق الكفر ببارئ  
البرية ما أوضحه لنا التاريخ وأيده العيان في أمثال أولئك  
الشعوب من سكان افريقيا الآن

ولما كان مراد الله سبحانه وتعالى بالانسان تشريفه وتفضيله  
علي سائر الحيوان بارشاده الي استخدام قواه العاقلة ومداركة  
العالية في سبيل ترفيه عن المرتبة الحيوانية الي المرتبة الكاملة  
الانسانية فقد شرع للشعوب من الشرائع ما يتكفل لهم بنوال

تلك النعمة وأرسل لهم الرسل بذلك مبشرين ومنذرين  
 فكانوا تارة يقبلون وتارة يعرضون وتارة يؤمنون وتارة  
 يكفرون حتى بعث الله نبينا محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل  
 عليه قرآنا فيه هدي ونور يدعو العقول الى الانفكاك عن  
 قيود الاستسلام المطلق للاوهام السابقة ويستحثها على  
 الانفلات من أسر الضلال ويرشدها الى سنن الكون  
 السائرة على نظامها الطبيعي المصون عن الخلل لقيامه بميزان  
 العدل الالهي الذي به استتبت أمور العالم وانتظم ذلك النظام  
 البديع واليه وردت الاشارة بقوله تعالى ( والسماء رفعها  
 ووضع الميزان ) ويقوله تعالى ( الله الذي أنزل الكتاب بالحق  
 والميزان ) ومن عدله تعالى القائم بميزان الحق المبين في ذلك  
 الكتاب الكريم أن الاعمال التعبدية وان يكن المقصود منها  
 نوال الحياة الابدية في الدار الآخرة الا انها لا ينبغي ان تمنع  
 عن العمل للدنيا كما وردت الاشارة اليه بقوله تعالى ( ولا تنس  
 نصيبك من الدنيا ) وذلك لان الدنيا ذريعة للآخرة ومن  
 رحمة الله وعدله أن منح المؤمنين الحسنى في الدنيا وهو التمتع  
 بنعيمها كما وعدهم بذلك في الآخرة وهي أجل وأبقى ولهذا



وردت الاشارة بقوله تعالى ( وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ) ومتى بلغ العقل في الانسان مبلغ العلم بهذه السنن الالهية تمهده طريق الانتفاع من مداركه السامية بالبحث عن المنافع والمضارّ فهبّ لاخذ النافع له من طريق العمل المتوقف على الجهد والسعي كما يشير الى ذلك قوله تعالى ( وأن ليس للانسان الا ما سعى ) وقوله تعالى في التنبيه على ان سلطان العقل مطلق بعد أداء واجب الدين في ان يسير بصاحبه في طرق العمل ابتغاء الرزق بل مكلف الي ذلك ( فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله ) أي من رزقه

هذا ماجاء به القرآن وأوضحه الاسلام للبشر لحلمهم من وثاق الجهل بدائع السنن الالهية وحضهم على دفع الاوهام التي من شأنها امانة العقول والاجسام وحلمهم على الاعتماد على النفس بعد الله بالعمل لا الاعتماد على اوهام آباءهم الاول واتهام الزمان بنتائج الحمول والكسل

﴿ الدرس العشرون ﴾  
﴿ تمة في الاعتماد على النفس ﴾

( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل  
( والنهار آيات لاولى الالباب )

الانسان مستعد للترقي بالطبع ميال الي طلب المزيد من كل  
شئ وبهذا الميل وثلك الفطرة التي فطره الله عليها ينشط للعمل  
ويدأب في السعي في هذه الحياة لثرتي معيشته وتعزيز جانبه  
ولهذا هو ميسر وللمعمل والمباداة مخلوق لان الله سبحانه  
وتعالى خلق كل شئ فابدع صنعه بأن أناط به من الوظائف ورتبه  
على نظام من السنن الالهية والنواميس القطرية ما نشاهد  
آثاره في هذا الوجود وبدائمه التي يشهد بسببها بقدره  
الخالق تعالى كل موجود ولمثل هذه السنن والنواميس  
المدبرة بحكمة الحكيم وردت الاشارة بقوله تعالى في القرآن  
الكريم . ( وكل شئ عنده بمقدار ) وفي قوله تعالى ( ان في  
خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولى  
الالباب ) والانسان بما أودع الله فيه من قوي العقل الباهرة  
وأعد له من نعيم الاستمتاع بنهم الارض الوافرة داخل تحت

تلك السنن بما غرز فيه من القوى المدركة التي ترشده الى العمل والسعي على سنن اذا لم يجر عليها ويعمل بها لا يتوصل الي تلك النعمة ولا يتمتع بذلك النعيم ، وانما يعمل الانسان بتلك السنن ويعلمها اذا نبذ الاوهام والصدف التي يسميها بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان كالسعد والبخت ونحوهما من الاسماء التي تعترض ترقى الانسان وتمنعه من الاعتماد على النفس والنشاط في العمل الذي هو مخلوق من أجله وميسر له ولا يمكن بدونه بلوغه درجة الكمال الانساني التي من مقتضاها ترفعه عن مرتبة الحيوان وتبسطه في مناحي الحضارة والعمران وفي الحديث (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)

اذا تقرر هذا فقد علمتم منه ومما سبق بيانه في الدرس السابق أن القرآن يدعونا معاشر المؤمنين الي السعي والعمل والاعتماد على النفس لاعلى الاباطيل الماضية والاهام المضرة التي حثنا الله سبحانه وتعالى على الانفلات منها والشذوذ عنها لئلا تنشأ عليها أخلاقنا وتتلون بها فطرنا فتصدها عن سبيل العمل وتحشرنا في عداد الامة الجاهلة بمزايا الانسانية الموثقة برباط الاستسلام الأعمى التي أراد الله سبحانه

وتعالى بارشادنا الي طرق الخلاص امنه تفضيلنا عليها وتمييزنا عنها كما تعلمون ذلك من قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس »

أفليس من الفضيحة والعار على أمة بهذا جاء قرآنها وكذلك كان بين الأمم شأنها أن تصبح الآن ضعيفة الافكار مستسلمة لما تسميها الاقدار وضيعة الجانب مهضومة الحق مسلوبة الاستقلال العقلي بيد البدع الضالة التي أودت بحياة النفس الطاهرة الاسلامية وقتلت همها العالية فاصبحت لا تعتمد الا على التأمم ولا تعمل الا بالطيرة والقأل شأن الجاهلية الاولى الذين كانوا في الضلالة يخوضون ( ذلك بأنهم قوم لا يعقلون )

أي أمة يكون الاسلام امامها والقرآن مرشدها والله سبحانه وتعالى يعظها ويذكرها ( وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ) ( كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ) وهي ترى أن الاستبصار انما هو في علم البحث عن تلك الآيات ووضع العقل في وثاق الجهل بكل ما يخرج عن علم العبادات .

وأي آية أعظم من آية العقل الذي أخضع نواميس الكون فاستنزل الصواعق من السماء وزجّ بها في أعماق الغبراء واستخدم البرق لنقل الاخبار والبخار لجوب القفار وفعل في هذا الوجود أفاعيله التي تقضى بالاستبصار .

اللهم ان العارف ببدائع صنعك من طريق العلم والدين الواقف على حقائق موجوداتك بالحق اليقين المستبصر بما خلقت في هذا الكون من عجائب مخلوقاتك لاشدّ حباً لك واعتقاداً بألوهيتك وتعظيماً لجلال قدرتك وقياماً بحق عبادتك ممن هم لا يعلمون ذلك ولا يستبصرون . (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب)



### ﴿ الدرس الحادى والعشرون ﴾

#### ﴿ العلم والتعلم ﴾

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾  
 العلم يا هداكم الله وأرشدكم اليه مناط الحياة الاجتماعية وأساس الحضارة والعمران وأول المقومات التي لا تقوم الا بها

حياة المجتمعات . وتعريف العلم بوجه الاجمال أنه العقل الغريزي  
اذا ترقى الي متناول المعرفة بمحقات المحسوسات لهذا يمدح  
الانسان العاقل بنسبة ما عنده من العلم بتلك الحقائق فيقال  
فلان عاقل عالم أو نابغة أو حكيم وهكذا بالتدرج وكلما كان  
الانسان واسع العلم كثير المعرفة واقفا على حقائق الاشياء  
كلما كان وجهها في قومه محترماً من الناس قوى الجانب مقبول  
الرأى عارفاً بطرق السعادة ميسراً للعمل شديد الهيبة في  
نفوس الناس وهكذا الحال أيضاً باعتبار المجموع كما هو باعتبار  
الافراد أى كما تكون هذه النعوت لشخص بمفرده كذلك  
تكون لامة بمجموعها اذا انتشرت بين أفرادها أنوار العلم  
وعمت بينهم المعارف ولا دليل نقيمه لكم على هذين الامرين  
أعظم مما هو واقع تحت الحس والمشاهدة فانا نرى بأعيننا  
ونسلم بأذاننا ان كل عالم بلغ درجة الكمال في العلم لا تنفك  
عنه هذه النعوت ومقامه في هيئة الاجتماع أعلى وأعظم من  
مقام الجاهل والاعمم كذلك فان المشرق الآن يموج بكثرة  
الاعمم والشعوب موج البحار ومع هذا فهو منحط عن  
الغرب بسائر أوصاف القوّة والكمال وقد أصبحت السيادة

للفريين على معظم أنحاء المشرق وسكانه ولماذا؟ لعلم أولئك  
وجهل هؤلاء .

العلم طريق السعادة للدارين ومنبعث مجد الامم وينبوع  
ثروة الشعوب وما أذل المشرق بعد العز وأفقر سكانه بعد  
الغنى وأفقر أوطانه بعد أن كانت أهلة بالعلم مزدهمة بطيابه  
الآ اجمال أهله للعلوم واسترسالهم في الشهوات مع ان أعظم  
أم المشرق التي بلغت أعلى مقامات الحضارة وترقت في العلوم  
الي ذروة الكمال فرفعت منار التمدن وتبسطت في مناحي  
العمران لم تبلغ ما بلغته من ذلك الامة الاسلامية في عصر  
ترقيها وإبان مجدها وأين هي من ذلك المجد الآن؟ ولماذا  
أخنى عليها الزمان؟ تركها العلوم النافعة في الدنيا واشتغالها عن  
ذلك بالاستغراق في البذخ الذي أنهك قواها وأفقدتها مجدها  
ولو استمرت على خطتها الاولي والقرآن امامها يحثها على العلم  
ويهد لها طرق السعادة كانت لهذا العهد صاحبة السيادة  
على معظم اجزاء المعمور والمتسلطة على خزائن الارض . ومع  
هذا ففي اذا اطرحنا دواعي اليأس الآن واستيقظت من  
غفلة الوسنان واسترشدت بالقرآن فهضمت نهضة رجل واحد

في سبيل تعميم العلم والتعميم على طرقه النافعة وأصوله المرغوبة  
لمثل هذا العصر. عصر الاختراع والابداع. عصر المعجائب  
والعرائب. عصر العلوم والمعارف تصل بلا ريب الى مبتغاها  
وتعيد سالف مجدها .

أينما نظر المؤمن في القرآن الكريم يرى أن الله  
سبحانه وتعالى يحث المؤمنين على العلم ويخاطب العقل ويأمر  
بالتبصر في آيات السكون والتفكير في خلق الله وذلك كما في  
قوله تعالى - لقوم يعلمون - لقوم يتفكرون - لقوم  
يعقلون - لا ولي النهي - لا ولي الا للباب - وغير ذلك من  
الآيات الكثيرة الدالة على عناية الله تعالى بالمؤمنين وحثهم على  
اطلاق العقل من قيد الجهل المهيمن ليخرج بهم من الظلمات  
الي النور ومن العمى الي الهدى وأية عناية من هذا القبيل  
أعظم من عنايته تعالى بالمؤمنين في قوله جل وعلا ( الله وليّ  
الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الي النور ) . أي الي العلم .  
بل أي ترغيب بالعلم وتشريف تقدر العلماء أحسن وأجل من  
قوله تعالى ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم  
درجات ) بل أي منشط على العلم داع الي التملص من الجهل



أعظم من قوله تعالى يصف العلم بالحياة والجهل بالموت ويفضل العالمين على الجاهلين ( أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) لهذا كله وجب علينا معاشر المؤمنين أن نسعى وراء العلم سعي الرائد المجدد لنذكر شأو آبائنا الاولين ونحيا حياة طيبة كحياة أسلافنا الطاهرين والله مع الذين آمنوا والذين هم متقون

### ﴿ الدرس الثاني والعشرون ﴾

#### ﴿ العلم بالعمل ﴾

( كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون )

لا تستقيم أعمال الانسان الا بالعلم اليقيني الذي هو ترقى العقل الي درجة الاحاطة بما يكتنف الانسان من أسباب السعادة والشقاء أو تنازع البقاء الذي هو حياة القوى بموت الضعيف وانما يتيسر وصول العقل الي هذه الدرجة من العلم بالتعلم والتهديب اذا روعي فيهما جانب الفضيلة علي وجه يشعر منه المتعلم انه انما يتعلم ليعمل فينفع نفسه وبني جنسه بالعلم وكأين من عالم لم يبلغ علمه درجة اليقين الداعية للشعور

بوجوب العمل وعاش عمراً طويلاً في هذا الوجود ولم يترك فيه أثراً من آثار العلم النافع لأنه انما علم ولكن لم يعمل بما علم فعلمه وجهله سيمان . اذا ما الفائدة ممن يتعلم ويقول أنا عالم ولا يتبع القول بالعمل فيعمل بما رزقه الله من العلم وأولي يمثل هذا العالم أن يخشى الله بكذبه على العالم فان الله تعالي يقول « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تعلمون »

واعلموا أن العلم هو الميزان الذي تتكافأ به قوي الشعوب المتنازعة في مضمار الحياة المدنية مادام العمل به متبادلاً بين المتنازعين ومتى وقف أحدهما عن العمل واستمر الآخر في عمله رجح هذا على ذلك بالضرورة فنازعه البقاء وغلبه عليه ولهذا وردت الاشارة في قوله تعالي ( لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ) أي بالعدل المنافع من تغالب الناس المنفصي الي ضعف المجتمعات وفنائها وانما يقوم الناس بالقسط برد جميع الاعمال الي ميزان الشرع الذي هو الكتاب المرشد الي العلم بمصالح الانسان الدنيوية والاخرية ومتى قام الناس بالقسط وتكافؤوا بميزان العمل بمصالح حياتهم الاجتماعية

أمن كل فريق منهم عائلة تنازع البقاء ما لم يختل ذلك التكافؤ  
 برجحان احدي كفتي ميزان العمل من المتنازعين فعندئذ لا  
 مناص من غلبة الراجح على المرجوح وحياة قوم بفناء آخرين  
 بحكم السنن الطبيعية التي سبق بها العلم الالهي في هذا الوجود  
 الخلقى واليهما يشير القرآن في قول الله تعالى ( سنة الله التي قد  
 خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ) وقوله تعالى ( وتلك  
 الايام نداؤها بين الناس )

اذا تقرر هذا فقد علمتم أن العلم بلا عمل لا ينفي عن  
 الحياة شيأ بل لا يكون العلم علما الا اذا ظهرت آثاره في  
 الخارج وانما تظهر آثاره بالعمل فالعمل العمل فان خير ما  
 علمه الانسان هو العمل والا فأى فائدة من علم المؤمن في  
 دينه ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذا لم يصل فينتهى  
 عن ذلك وعلمه في دنياه أن الزراعة مثلا من أسباب الحياة  
 البشرية ولم يعمل بالزراعة مع علمه بها وبنونها وهكذا يقال  
 في كل علم من علوم الدين والدنيا . ومن نظر منكم الى آثار  
 العمل الصادرة عن العلم التي تفيضها على أرجاء المشرق الامم  
 الاوربية الآن يحكم حكما جازما أن لا حياة لأمة ولا بقاء

لشعب بازاء تلك الامم المتمدنة ما لم يجارها في ميدان العمل  
 مجارة لا يمتري صاحبها الوهن ولا الكلال والآجرفت بتيار  
 علومها وجود الجاهلين وسحقت بقوة عملها أجسام المستضعفين  
 ( وما ربك بظلام للعبيد ) بعد اذ هداهم الى طريق العمل  
 وحذرهم عاقبة الاهمال والكسل وأبان لهم عن سنن الوجود  
 ودعاهم بها الى الاستبصار والاعتبار . فقال تعالى ( فاعتبروا  
 يا أولى الابصار ) وقرع المرصين منهم عن البحث في بدائع  
 الكون ونظامه المصون فقال تعالى ( وكأين من آية في  
 السموات والارض يرون عليها وهم عنها معرضون )

### ﴿ الدرس الثالث والعشرون ﴾

#### ﴿ التربية والاخلاق ﴾

( يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا )

كلما ترقى العلم في أمة كانت أقرب لتربية النفوس  
 وأذني من تقويم الاخلاق وتهذيبها لا سيما اذا كان العلم  
 مقرونا بالفضيلة وفضيلة العلم هي عمل الانسان بما يعلم والعالم  
 يدرك بالضرورة سائر المنافع والمضار التي تنبئ عن الاعمال

فاذا كان علمه مقرونا بالفضيلة وهي العدل انتظمت سائر  
 أعماله فعمل بالنافع واجتنب الضار والا فاذا لم يكن هناك  
 فضيلة فالعلم ناقص فلا عمل لصاحبه ولا أخلاق . لهذا كانت  
 التربية على الفضائل أس العلم وأفضل معارج الترقى اذ ان  
 تفشي الرذائل بين أمة اذا لم يمنع من ترقيا فانه يكون علة  
 لسرعة سقوطها لما فيه من غلبة الشهوات وتغالب النفوس .  
 على المنكرات ( وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها  
 مصاحون ) وهذه سنة ثابتة من سنن الوجود الاجتماعي  
 يؤيدها قوله تعالى ( واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها  
 ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ) وكأين من  
 أمة بعد صيتها وتسامت صروح مجدها وعظم سلطانها دبت  
 فيها سموم الرذائل فنخرت عظامها وأوهنت قوتها فهوت الي  
 دركات الهوان وانمحي رسمها من عالم الانسان وانما تصاب  
 الامم بهذا الداء وتهوى مع الاهواء اذا ساءت فيها التربية  
 وفقدت من عندها التعليم على أساس الفضيلة ولهذا كله نهينا الله  
 سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فقال تعالى ( يا أيها الذين  
 آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا ) أي بأن نجتنب الرذائل ولا

نكتفى بهذيب أنفسنا على اتباع الفضائل التي تقينا نار العذاب في الآخرة والاولى بل نشرك معنا بالتربية على هذه الفضائل أهلينا وأولادنا وقال تالمى ( قل كل يعمل على شاكلته ) أى على ما نشأ عليه وانطبع فيه . وبالطبع ان الناشئ على الفضائل عمله خير من الناشئ على الرذائل وانما يصدر العمل الخبير عن النفس التي تربت على الفضائل وتهذبت على حب الكمالات وبالعكس وشاهدنا على ذلك قول النبي عليه الصلاة والسلام ( ما من مولود الا يولد على الفطرة الح ) وقد مر معنا تمة هذا الحديث في الدرس التاسع عشر حيث قلنا ان الفطرة الانسانية مستعدة من أصل الخلق للتلون بما يعرض عليها من الصور فتنتطبع عليها أشد الصور التصاقاً بها ومروراً عليها فاذا كانت تلك الصور صوراً للفضائل نشأ الانسان فاضلاً واذا كانت صوراً للرذائل كان رذيلاً سافلاً فالتربية هي مبدأ حياة للانسان اما سعيدة واما شقية .

اذا تقرر هذا فما لا ريب فيه عندي أن كلاً منكم يتنى لنفسه الحياة السعيدة كما يتمناها لبنيه وذريته من بعده وانما تنال هذه السعادة بهذيب النفس على الفضائل

وتعويدها على اجتناب الرذائل وخيركم من عقل ذلك فبادر  
الي تهذيب نفسه وتقويم ما اعوج من خلقه ليكون قدوة  
صالحة لاهله ومرربيا رشيداً لولده وسنداً قويا لوطنه . فقد  
حان لنا والله أن نرجع بالنفوس عن غيرها ونعطي هذه الحياة  
من السعادة حقها فان الحياة قصيرة فما بالناتقضيها في الشقاء  
والعبر كثيرة فحتم هذا الاغضاء والمرض قتال فلم لانستعمل  
الدواء ربنا لا تزغ قلوبنا واجعلنا من عبادك الاخير (ربنا  
آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار )

### ﴿ الدرس الرابع والعشرون ﴾

#### ﴿ بيان وتمة في الاخلاق ﴾

﴿ قد أفاح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

ذكرنا ان التربية هي مبدأ حياة للانسان اما سعيدة واما شقية  
وهو محمول على أن الانسان اذا نشأ على شيء من الافعال النفسية  
واستمر على تعاطيه فان كان ذلك الفعل شرا كان صاحبه شريراً  
وان كان خيراً كان صاحبه خيراً وأما اذا لم يستمر على تعاطيه  
وحاول تغييره بطول الممارسة على عكسه فن الممكن أن يتغير

ومثاله من نشأ على رذيلة ثم أراد تركها فليضعها بحيث يبغضها  
ويعالج نفسه على تمويدها على الفضيلة وكلما تنبه فيه خلق الرذيلة  
بادر الى رجم نفسه على التخلق بالفضيلة وهكذا حتي يتمكن  
فيه هذا التخلق وينصرف عنه ذلك وقد زعم بعضهم أن  
الاخلاق الرذيلة لا تتغير بدعوي أن الانسان شرير بالطبع  
وهو زعم فاسد يدحضه قوله تعالى اشارة الي النفس ( قد أفلح  
من زكاهها وقد خاب من دساها ) وزعم آخرون أن السعادة  
والشقاء غير منوطين بأعمال الانسان لانه مسلوب الارادة  
كالحيوان واذا كتب الله عليه الشقاء أي قدرة استمر شقياً  
الي الازل وهو زعم فاسد أيضاً واقترأ على الله وبهتان اذ ان  
السعادة والشقاء اذا لم يناط بعمل الانسان سقط التكليف  
وبطلت الحاجة الي الرسل والشرائع ومعاذ الله أن يكون ذلك  
كذلك فان الله سبحانه وتعالى يرسل رسله مبشرين ومنذرين  
مبشرين لمن قالوا ( ربنا اننا سمعنا منادياً ينادي للايمان أن  
آمنوا بربكم فآمنوا ) ومنذرين لمن قالوا ( لو شاء الله ما أشركنا  
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم  
حتي ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فيخرجوه لنا ان تتبعون



الا الظن\* وان أنتم الا تخرصون)

وفضلا عن هذا فان الاعتقاد بسلب الارادة الى ذلك الحد استدراج للبشر في الشرور والمعاصي وهو ظلم نزهت ذات الله سبحانه وتعالى عن مثله وهو القائل وقوله الحق (من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) والقائل وهو أصدق من قال (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) والقائل سبحانه وتعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان) والعدل كما علمت مماصر أساس الفضائل في سائر أعمال الانسان النفسية والبدنية وهذه الفضائل هي منهي السعادة الدنيوية والاخروية وقد كلفنا الله تعالى الي طلبها بالعمل فلو تحتم علي أحد الشقاء لما أمر بطلب السعادة ومن ثم لا ينبغي لاحدنا اذا ابتلي برذيلة ان يستدرج في سائر أنواع الرذائل ويقدم على كل المعاصي لاعتقاده بأن ذلك قدر عليه ولا مفر له منه فان هذا كفر صريح واعتقاد مناف لحكمة الله تعالى في تدبير خلقه بل ينبغي عليه أن يعالج نفسه بالفضيلة ويصدها عن الرذيلة جهد الطاقة لئلا تسترسل في الشرور المفضية الي انهالك الاجسام وشديد الآلام في الدنيا والمذاب في الآخرة ولعذاب الآخرة أشد

وبالجملة فالاخلاق الفاضلة تكتسب بالممارسة وأحسنها ما كان من أصل الفطرة أى ما فطرت عليه النفس لتكون كالشجرة تنمو فروعها بنمو الاصل وتؤتي أكلها كل حين والفضائل هى الاعمال النفسية والبدنية التى روعي فيها جانب المدل وهورد العمل الى وسط بين طرفي الافراط والتفريط كالكرم فانه وسط بين رذيلتين الاسراف والبخل . والشجاعة فانها وسط بين رذيلتين الجنون والجبن هذا باعتبار أمهات الفضائل وأما باعتبار سائر الاخلاق الكريمة والفضائل فكل عمل بدنى قصد به الاسترزاق من طرفه المشروعة كالزراعة والتجارة مثلا فهو فضيلة وكل عمل نفسى كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة وحب الناس وحب الوطن وحب العمل واسداء المعروف وغير ذلك من الأعمال المحمودة فهو من الاخلاق الكريمة ولنذكر لكم طرفا منها على وجه الاجمال لتقيسوا غيره عليه ونختار من ذلك حب الوطن وحب الناس لانهما من أركان الاجتماع القائم على دعائم التعاون والاتحاد

## ﴿ الدرس الخامس والعشرون ﴾

## ﴿ حب الوطن ﴾

( ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد )

الوطن طينة المرء التى نبت فيها أصله ونما فرعها ونشأته  
حياته التى تغذت بهوائه واستظلت بكنفه ودوائه ومقره الذى  
تتجاوز به عوامل الشفقة عليه والحنين اليه اذا شط به مزاره  
ولمعدت عنه داره وكنه الذى يأوي اليه اذا نبت به البلاد  
ويتوسع فيه اذا ضاقت عليه الارياض ربما غادر المرء وطنه  
أحياناً لفاقة تصيبه أو ذل يراه واستقر في موطن غيره يفيض  
عليه من النعم اشكالاً ومن العز هببة وجلالاً فيستكن فيه  
عمره يستدر خيره وميره فينتهي لنفسه الدور ويأوي الي  
شاهقات القصور ويتمتع بأحسن ما يتمتع به النظر ويلذ بالنفس  
شاكراً خروجه من ضيق العيش الى سعته ومن ذل الجوار  
الي عزته وبينما هو في هذا النعيم المقيم يطراً عليه خبر عن  
جائحة أصابت وطنه أو مصيبة حلت فيه أو عدو غلب عليه  
فتزعج لذلك جوانحه وتتألم جوارحه وينتفض عيشه وتكتمش

عضلاته وتقبض أسارير وجهه وربما يئلب عليه الحنوف فيجهز بالأواه وينادى وأسفاه وأوطناه كل ذلك وهو لا يملك فيه شبراً ولا ينتظر لنفسه منه خيراً. إذا فما هذا الباعث الغريب والسر العجيب؛ ما هذا المؤثر القاهر والاحساس الطاهر؟ هذا حب الوطن نعم حب الوطن لأن سلطانه فوق كل سلطان وأثره لا ينحى عن صفحات الجنان فكم بيعت في سبيله النفوس ببيع السماح وكم رخصت دونه أرواح وغلت أرواح بل كم رفع لرجال ذكراً كان خاملاً وشيد لأعمالهم أثراً ماتوا وظل باقياً. حب الوطن ولا نكران للحق أشرف خلق يتحلى به الإنسان وأحسن شيمة ينطوى عليها الجنان وهو من أخلاق الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام وقد كان نبينا محمد صلي الله عليه وسلم بعد هجرته إلى المدينة يحن إلى وطنه مكة حنيناً كثيراً مع أنه خرج منها وهو غير راض عن أهلها لمعاداتهم له وإيصالهم الأذية إليه حتى وعده الله سبحانه وتعالى بأن يريه إياها ويرده إليها وذلك في قوله تعالى ( إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ) ولما أنجز الله له وعده ودخلها عام الفتح ظافراً بمن كانوا أشد الناس عداوة له وهم قريش نادى

منادي الرسول من دخل البيت كان آمنا من دخل دار فلان  
 كان آمنا أى لا يقتل قصده بهذا حقن الدماء وذلك حنانا منه  
 صلى الله عليه وسلم بمواطنيه وعشيرته ولطفا بوطنه ومستقط  
 رأسه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام ( حب الوطن من  
 الايمان ) والمؤمن يتحمل المصاعب والمشاق دون الايمان  
 ويجتنب المهالك الا دون الايمان ويمسك عن الاسراف  
 والتبذير الا في سبيل الايمان ويخرج عن نفسه وماله للايمان  
 وبالجملة فحقوق الوطن على المؤمن هي حقوق الايمان مادام  
 حب الوطن من الايمان . ولهذا جاء القرآن قارنا بين حق  
 الدين وحق الوطن وذلك بقوله تعالى ( لا ينهاكم الله عن  
 الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم  
 وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ) الآيه  
 الوطن جامع ما تفرق وضام الشتيت من الانسان وانما  
 تقوم المدنية حيث يكون الاجتماع وتستبحر الحضارة حيث  
 تتألف القلوب على العمل ويمتد العمران حيث يجتمع الناس  
 والانسان العامل في وطنه هو الامة لأن الامة هي العمل  
 ومن لم يعمل في وطنه فعدمه خير من حياته لانه يشغل فراغا

من الوجود أحق أن يشغله سواه وما أصيب وطن من أهله  
بمثل الكسل كما لم يعتر وطن من أهله بمثل العمل . مجد الوطن  
وسعادته ببنيه وبنوه بالعمل . فالعمل العمل وأنجح الأعمال  
عمل سبقه العزم وحفضه الثبات وروعيت فيه تقوي الله والله  
لا يضيع أجر العاملين .

هؤلاء الغربيون عرفوا مزية العمل وأن به سعادة أوطانهم  
واستفحال مجدهم فانكفوا على أطراف البسيط يلاقون  
المصاعب ويقاسون الأهوال ويجوبون الاقطار ويخترقون  
القفار لاكتشاف عالمي ينفعون به وطنهم أو عمل سياسي  
يوسع أطراف ملكهم فاستبحر بذلك عمرانهم وغصت بما  
استفتحوه من كنوز الارض أوطانهم فلكوا رقاب البشر  
وأخذوا بنواصي الشعوب فرفعوا قدر الوطنية وأبانوا عن  
فضل العمل

هكذا تفعل الأمم الحية وبهذا تحيي النفوس الميتة وذلك  
هو نشاط الحياة الطبيعية وثمره العقل المطلق فارزقنا اللهم نوراً  
منه نهتدي به في ظلمة غشيت أوطاننا وأضلت أفكارنا  
عتركتنا في حيرة لا مناص منها الا بالعمل نعم العمل العمل

(من يعمل مثقال ذرة خيراً يره) . والله مسهل الأسباب

### ﴿ الدرس السادس والعشرون ﴾

#### ﴿ حب الناس ﴾

( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة )

ان منتهي ما توصف به أمة من مكارم الاخلاق الحب المتبادل على الوجه الذي وصف الله تعالى به المؤمنين بقوله تعالى ( ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ) هكذا كان المؤمنون يؤثروا أحدهم الآخر على نفسه بالشئ مهما كان شديد الحاجة اليه وبلغ بهم هذا الحب المتبادل الي حد من الثقة بعضهم ببعض ان كان أحدهم ثقةً باخوانه المؤمنين لا يأتي امرأ الا بمشورتهم عليه وطلب المناصحة فيه وكانوا خاطاء بالمال من عظم الثقة المتبادلة كما وصفهم بذلك الله تعالى بقوله جل من قائل ( وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ) ان العقل مهما تصور من السودد لمثل هذه الامة فهو قليل بالنسبة لما كان عليه شأنها وجاء به قرآنها وما بلغت من الرفعة والمجد درجة حيرت عقول الباحثين في تواريح الامم ودلت

على مقدار فضل التائب والاتحاد الا بمثل تلك الاخلاق  
الكريمة والأعمال الشريفة الصادرة. عن قلوب ملؤها الايمان  
وعواطف كلها حنان. عن أناس كان أحب الي أحدهم أن يؤلف  
بين قلوبين من أن يملك ما بين قطرين. عن أناس وصفهم نبيهم  
صلى الله عليه وسلم بقوله .

( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ) عن أناس  
بلغ من حب خليفتهم للمؤمنين وحرصه على راحة المسلمين  
ان كان اذا سمع بوقوع ضر بأحدهم يمرغ وجهه بالتراب  
ويقول واخجلتاه واعمره ايصاب فلان بكذا وأنت غافل عن  
كشف الضر عنه ليت أمة لم تلدني

أي عاطفة لا تتحرك وأي قلب لا يتمش وأي قاس  
لا يلين لمثل هذا الاحساس الطاهر والحب المتمكن من  
أعماق قلوب المؤمنين . اللهم ارزقنا عودة على بدء ويسر لنا  
من أمرنا فرجا فقد ضاقت الصدور وتنافرت الانفس  
وتباغض المؤمنون وتخاذل المسلمون فحل بهم البلاء  
وتناوشتهم الاعداء وزالت ثقتهم من الصدور فتناكروا  
وبارت تجارة العهد عندهم فتنافروا ونزع بينهم نازع الفساد



فأرداهم. وغفلوا عن وصايا الله سبحانه وتعالى ونبهه فساءت عقابهم. يقول لهم الله سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يزغ بينهم) فلا يتدبرون وفي البغضاء يتجادون. ويقول لهم رسوله عليه الصلاة والسلام (أحبكم إلى أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون) فلا يشعرون بمعنى هذا التأليف ولا يعملون وعن العاقبة هم غافلون

اخواني اتظنون ان لكم حياة بعد اليوم الا بالتأليف ؟  
أترون انها تقوم لكم قائمة الا بتبادل الحب ؟ هل تنشأ الثقة  
الا عن الحب ؟ تقوم التجارة والصناعة والزراعة وكل أسباب  
المعاش الا بالثقة ؟

أيحيا الناس بدون المال ؟ هل يتيسر المال الا باصول  
المكاسب ؟ هل تنمو هذه الاصول الا بالثقة ؟ أتكون ثقة  
حيث لا يكون الحب ؟ لا والله : لا تكون فاحفظوا عنى  
هذه الشئون واتقوا الله فيما أنتم فيه من اللغو واللعب تخوضون  
وألغوا بين قلوبكم وتعاونوا على أمر دنياكم واختاروا أقرب  
طريق لنجح مسماكم ومن يفعل ذلك فأولئك هم المفلحون

تفرقتم واجتمع الفرييون وتهاوتم ونشط الاوريون فنزلوا  
 بقضيمهم وقضيمضهم عليكم وتمكنوا بجماعاتهم من منفرديكهم  
 وبشركاتهم من منافع أوطانكم وبششاطهم من خمولكم  
 وبجدتهم من تقاعسكم فأسسوا بينكم المصانع واحتكروا  
 المنافع وفعلوا كل أفاعيل الحياة النشيطة التي ملأت فراغ  
 الوجود عبراً تمثل قدرة الانسان تمثيلاً لا يدع لكم سيلاً  
 للاعتذار عن مجاراتهم الا بفقد الحياة الحساسة فيكم وموت  
 الشعور الطاهر منكم ومعاذ الله ان يكون ذلك كذلك وأنتم أبناء  
 من بآثارهم اهتدى الفرييون وبهم عرفت من ايا الاجتماع وهم رافعو  
 منار الدول. ومؤسسو دعائم العمل. الذين كانت تتجافى جنوبهم  
 عن المضاجع لكامة من داعي الحق اذا دعاهم ومنادى حي على  
 العمل اذا ناداهم. وأي عمل للمؤمنين الآن أفضل من جمع  
 كلمتهم على العمل وتأليف قلوبهم على الحب ليعتدوا للفريين  
 من القوة ما استطاعوا من نوع قوتهم وقيموا من العلم  
 والعمل سداً دون اطماعهم قال تعالي ( وأعدوا لهم ما استطعتم  
 من قوة ) وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ( من قاتل فليقاتل  
 كما يقاتل ) انهم يقاتلوننا بقوة العلم والاختراع قبل أن تدنا لهم

مثلاً أو أدنى منها؟ لا والله بل نحن عالة عليهم مفتقرون في أدنى الضروريات اليهم. اخواني لا تكونوا كمن جعلوا بأسهم بينهم فكانوا من الاخسرين أعمالاً بل كونوا كما كان أسلافكم من المؤمنين رحماء بينهم أشداء على من عداهم والله مع المتقين

### ﴿ الدرس السابع والعشرون ﴾

#### ﴿ خاتمة فيها تذكير ﴾

(وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

أتيتها الشبيهة الشرقية من أبناء الاخوة الاسلامية هذا كتاب أتوه عليكم بالحق لملككم تذكرون وما أنا باقل منكم حاجة الى التذكير وانما هو ضمير كضائرهم ووجدان كوجدانكم وشعور كشعوركم بعث في نشاط الفكر لخدمة الامة بذرة مما يجب على كل فرد يشغل حيايتها لا حيايتها اذ ان حياة الفرد الواحد بالنسبة لحياة الامة أقصر من أن يشغل بها حيايتها وانما هو يشغل حياة الامة وانما يكون المسلم مشتغلاً لحياة الامة اذا استجاب لله والرسول فيما يحيي

اخوانه المسلمين ( يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول  
 اذا دعاكم لما يحبيكم ) وأية حياة أشرف وأسمى من حياة  
 أمة يدعوها كتبها الى حياة العقل والارادة والنشاط . الى  
 حياة المجد والقوة والعزة والسيادة . الى حياة العمل والجد .  
 نعم الى هذه الحياة يدعو القرآن المؤمنين . ولأجلها تجافت  
 جنوبهم عن المضاجع مئات من السنين . لا يرى أحدهم الآعلى  
 متن جواد أو غارب بعير فدوخوا الممالك ووطأوا بسنابك  
 خيولهم معظم عواصم الارض فاخترقوا جدار الصين من  
 الشرق وقطعوا جبال البرنات في الغرب وما استقروا في  
 مكان الا مصروا فيه الأمصار وشيدوا للعلوم دورا ورفعوا  
 للدين منارا وأقاموا للمجد والسيادة دعائم وأحيوا للسياسة  
 معالم فهدوا للإسلام طريق الانتشار فبلغ الهند والصين  
 شرقا واخترق المحيط الغربي غربا ووصل الى شواطئ المنجمد  
 الشمالي مما يلي سبيريا شمالا وعم جزائر المحيط الجنوبي جنوبا  
 أين تلك العصاة المؤمنة وما الذي ذهب بهذه الحياة  
 النشيطة ؟ أليس هو فساد تطرق بعد الي تربية أفكار الأمة  
 من خلف آتي بعصاة تلك العصاة فأخذ الى الراحة واستغرق

في الشهوات فاعتذر عن عدم مجاراته لتلك العبد <sup>الذي</sup> وبالبرورة العظيمة  
 المؤمنين بأن الزهد عن العمل من الدين والدين <sup>الذي</sup> لله تعالى عنه الذي  
 ليس للمؤمن أن يسعد بعمله أو يشقى أو يشتغل في <sup>العمل</sup> من غير ما ينبت  
 الأخرى وأنه مساوب <sup>(١)</sup> الإرادة فلا يسعي مسوق بالفتن بجيوش  
 كالبيمة العجماء تذهب بفطرتها إلى المرعى <sup>(٢)</sup>

(١) هذا اعتقاد فرقة تسمى الجبرية ولكن محاهم الله وكثيراً من  
 أهل البدع الضالة في الإسلام (٢) مر في الدروس الماضية من  
 الأدلة القرآنية على إبطال هذه المزاعم ما فيه الكفاية وأما مسألة  
 القضاء فهي في الحقيقة اعتقاد فاش بين عامة الأمة على وجه يخالف  
 ما كان يعتقد السلف وخاصة الخائف أيضاً ليقصر عقولهم عن تناول  
 مغزي القضاء الذي هو عند أئمة الأشعرية والماتريدية من أهل السنة  
 تعلق الإرادة الألهية أو العلم الإلهي بخلق الأشياء على ما هي عليه من  
 الأزل واليك مقالته الأشعرية في القضاء  
 ارادة الله مع التعلق \* في أزل قضاؤه فحقق

والقدر الإيجاد للأشياء على \* وفق مراد الله جل وعلا  
 وليس في هذا ما يتصوره العامة من وجوب الاعتقاد بسلب  
 الإرادة الإنسانية بل الإنسان ذو ارادة واختيار وهو السكسب الذي  
 يسميه أئمة الدين الجزء الاختياري وإنما المغالاة في العقائد عند العامة  
 من أهل كل دين كثيراً ما تؤثر على نفوسهم آثاراً تظهر على أعمالهم  
 الدينية بصفة لا تنطبق على أصل العقيدة ومن هذا القبيل مغالاة كثير

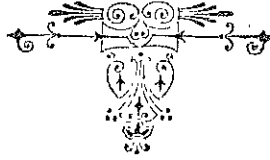
اخواني اب أخوف ما يكون بينتان على دينك واقتراء على  
 انحرافها عن دين أنزل عليها بالحق منين الذين هم أرسخ علما وأعظم  
 التي سنها للخلق وهذا ما قضين . واهتداء بالكتاب المبين . ومع  
 من قبل اذ استق منهم مثل عثمان رضى الله تعالى عنه الذي صار  
 محلهما

من عامة المسلمين بعقيدة القضاء التي اتهمنا الفرنجية بسببها بموت الارادة  
 وفقد الاحساس وقالوا اتنا أصبحنا معرضين بهذا الاعتقاد لقبول كل  
 بلاء ينزل بنا ولو مهما كان فيه . من ضعة وذل وهوان وان أمة هذا  
 اعتقادها لا تؤمل لها حياة بين الاحياء بحكم السنة الطبيعية سنة بقاء  
 الانسب التي يفضى بها تنازع البقاء ولو أنصف الافرنج وتمعنوا قليلا في  
 تاريخ الاسلام وما فعله المسلمون من الانقلاب السياسي والعلمي في العالم  
 أجمع لظهر لهم أن الاسلام بريء من هذه الوصمة بعد ما ظهر من  
 أهله من آثار العمل في الوجود ما لم يظهر أثره في أمة من الامم من  
 قبل . وانما هناك خطأ في فهم القضاء أوجب التحريف في هذه  
 العقيدة عند العامة ولا بد في اصلاح هذا الخطأ من نهوض أمة المسلمين  
 الى تدارك الامر قبل أن يتحقق ظن الاوربيين في بقية هذه الامة كما  
 تحقق في قسم عظيم منها خنع للاستعباد واستنام لحكم الاجنبي  
 فارتكس في أمواج الحيرة وأصبح هدفا للاضمحلال لا سمح الله .  
 ولا شك ان علماء هذه الامة هم المسؤولون عن هذا الحيف المحقق  
 بالمسلمين الذين أقدمتهم الاوهام عن مجارات الامم الحية ومكافحة  
 الحوادث بسلاح الجهد والعمل والله بالعاقبة عليم

خليفة ولم يدع الاشتغال بأشئ يكون يوماً بثروته العظيمة  
من الزاهدين ومثل خالد بن أنس الذي رضي الله عنه الذي  
لم يفتأ منذ دخل في الإسلام عاملاً في المسلمين ممطياً  
صهوة جواده أثناء الليل وأطراف النهار يحوش  
المؤمنين الفقار ويفتح لهم المالك ويدوخ الامصار ولم يضطجع  
على فراش الراحة الا أيام مرضه التي قضاها وهو يتأوه من  
عدم العمل تأوه الولهان ويقول أعلى هذا الفراش أموت لا  
عاش الجبان لا عاش الجبان

لا جرم أن هذه العصابة الطاهرة التي رفعت مجد  
الإسلام وشيدت بعلمها المتواصل وسعيا الحثيث دعائم الدول  
واستولت على كنوز الارض وأخذت بأعنة التجارة والصناعة  
والعلم والمعارف والرئاسة والسياسة بعد أن كانت في بداوتها  
بمعزل عن هذا كله لعصابة عرفت حقيقة الإسلام وما يدعو  
إليه فأخذت نصيبها من الدنيا والدين وكانت بالسعادة القصوى  
من الفائزين لا هتدائها بنور الكتاب المبين الذي أنزل فيه  
على خاتم النبيين عليه افضل الصلاة والتسليم ( وأثرنا إليك  
الكتاب تيانا لكل شئ وهدى ورحمة )

اخواني ان أخوف ما يكون على الامم من الهلاك  
 انحرافها عن دين أنزل عليها بالحق واعراضها عن السنن النافعة  
 التي سنّها للخلق وهذا ما قضي على قوم نوح و ابراهيم وموسى  
 من قبل اذ استعموا الاديان آله لغير ما وضعت له فذبحتم  
 بحدها فلا تكونوا كأولئك الغابرين (يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
 الله وكونوا مع الصادقين) انتهى الكتاب





2/10	DUE DATE			1965

2/10

